جامعة يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة بيداغوجية

في مقياس تاريخ وحضارة المغرب القديم

خاصة بالسنة ثانية ليسانس تاريخ عام

إعداد الدكتور: حسن بلعيد

الموسم الجامعي: 2020/2019م

تمهيد:

تشمل هذه المطبوعة على مجموعة من المحاضرات التي كانت تلقى على طلبة السنة الثانية تاريخ، مقياس تاريخ وحضارات بلاد المغرب القديم، وهي دروس ألقيت على امتداد سنوات متتالية، محاولا من خلالها إفادة الطلبة بمجموعة من المعلومات الخاصة بمنطقة المغرب قديما، حتى تكون مرجعا لكل من يريد البحث عن التاريخ المغاربي القديم.

كما قسمت المحاضرات إلى عناصر حيث تناولت فيها:

جغرافية بلاد المغرب-السكان-التوسع الفينيقي في الحوض الغربي للمتوسط- وقرطاجة وهذه المحاضرات مرتبطة فيما بينها وتساعدنا على فهمت النواة الأولى للاستقرار البشري بالمنطقة والعوامل المساعدة على ذلك.

أيضا الممالك الوطنية المتمثلة في نوميديا وموريطانيا وعلاقاتهما بالإمبراطورية القرطاجية، والتطرق كذلك للصراع القرطاجي الإغريقي. وللصراع القرطاجي الروماني بما في ذلك الحرب البونية الأولى ثورة المرتزقة والحروب البونية الثانية والثالثة التي أسفرت عن زوال قرطاجة وتغير الخريطة السياسية لمنطقة بلاد المغرب القديم.

ثم لفترة ما بعد سقوط قرطاجة مستعرضا مجموعة من الأحداث التاريخية حتى حرب يوغرطة وما ترتب عنها، ثم بلاد المغرب قبل وبعد الاحتلال الوندالي.

ولجمع هذه المحاضرات قمنا بالاطلاع على مجموعة من المصادر والمراجع والدراسات التي تناولت تاريخ المنطقة رغم أنها تحتاج إلى التأمل والدقة بحكم أن أغلبها كانت من إصدار المدرسة الفرنسية التي لديها وجهة نظر مختلفة للمنطقة، ما يدفعنا إلى المزيد من الدراسات في مختلف الجوانب التي لا يمكننا حصرها في هذه المحاضرات.

مصادر دراسة تاريخ وحضارة بلاد المغرب القديم:

يقصد بالمصدر منبع المعلومات أي الشخص الذي كتب أو دون أحداث عايشها أو عاصرها وشاهدا عليها سوءا زمنيا أو مكانيا أو يكون قريب منها، لأنها تعتبر ذات أهمية في نقل المعلومات، وتنقسم هذه المصادر إلى قسمين:

1- المصادر المادية(الأثرية):

تعتبر هذه المصادر ذات أهمية بالغة وأكثر دقة في إيصال المعلومة رغم ما يعاب عنها في بعض الأحيان كونها تفتقد للتواريخ، وبعض الأحيان نجدها على كل صور ما يصعب على الباحثين الوصول إلى المعلومة المراد منها، وتتمثل هذه المصادر أساسا في المخلفات الأثرية كبقايا العظام البشرية الحيوانية والصخور البطينية وبعض النباتات، كما نجد بعض منها منقوشة كاللوحات المصنوعة من الحجارة، الطين والأخشاب التي دون عليها القدماء مختلف صور ومعلومات تلك الحقبة، إضافة إلى الرسومات المدونة على الصخور وفي المعابد و التوابيت، وهناك نوع أخر من هذه المصادر المتمثلة في التماثيل التي تعتبر مصدر مهم في كتابة التاريخ.

2- المصادر الأدبية(الكتابية):

هي كل المصادر التي كتبت قديما سوءا على ورق البردي أو الصحف، حيث دونها الأشخاص الذين عايشوا الأحداث أو كانوا قريبين منها، والتي يمكن تصنيفها كما يلي:

الكتب السموية: هي مصدر مهم في كتابة تاريخ رغم اعتبارها من طرف بعض المؤرخين بأنها مقدسة ولا ينبغي النقد فيها، ونجد في مقدمة هذه المصادر التوراة و الإنجيل والقران الكريم.

كتب الرحالة والمؤرخين: هي تلك الكتب التي ألفها أناس عايشوا الحدث أو كانوا قريبين منه، واغلبهم وصفو بالرحالة كونهم نقلو أشياء شاهدوها في رحلاتهم من منطقة إلا أخرى أو قادة عسكريين عاصرو الأحداث والحملات العسكرية التي كانت على بلاد المغرب أو حكام و إداريين ما سهل لهم عملية الرجوع إلى الأرشيف والمعلومات وكتابة تاريخ المنطقة فيما بعد، وأعتبرت كتاباتهم أحد المصادر في تلك الحقبة ومن بين هؤلاء:

أ/- هيرودوت484-425 ق/م: مؤرخ يوناني زار العديد من مناطق العالم القديم كريت، بلاد الرافدين، مصر، فلسطين وبلاد المغرب قديما، ألف كتاب سماه الباحثون بكتاب "التواريخ" يتكون من تسعة أجزاء، ما دفع اغلب المؤرخين يسمونه بأبي التاريخ، ولقد اختلفت وجهة نظر بعض المؤرخين حول ما إذا زار المنطقة أم لا، كون بعض منهم يقولون بأنه إستقى معوماته من أبناء المنطقة الذين إلتقى بهم في مصر وقورينا، ما جعل بعض معلوماته غير دقيقة و بعيدة عن الواقع بحجة أنه لم يحدد تاريخ غزو الفرس لليبيا، وكذا اختصار معلوماته حول بلاد المغرب على الجهة الشرقية و الوسطى دون ذكر الجهة الغربية.

ب/- بوليبيوس200-120ق/م: ولد بمدينة ميجالوبوليس، أركاديا بالبليبونيز التي إنتضمت إلى الكنفدرالية الأخية التي واجهت التوسع الروماني، حيث لعبت أسرته دورا هاما في الحياة السياسية والعسكرية، وتولى بولبيوس بنفسه قيادة الفرسان لكن بعد الهزيمة في معركة بودنا سنة166ق/م، والتي تمثل نهاية الحرب المقدونية الثالثة بسقوط مقدونيا، ووفقا لشروط المعاهدة قام الرومان بنقل ألف رهينة إغريقي إلى روما بينهم بوليبيوس، لكن بحكم ثقافته وإرتباطه بعائلة سكيبيون ذات النفوذ في روما خلال القرن الثاني قبل الميلاد، خاصة سكيبيون الإميلي الذي عمله معه كمستشار.[1]

إهتم بولبيوس بكتابة تاريخ روما في فترة الجمهورية خاصة الفترة الممتدة بين 220-168ق/م، من الحرب البونية الثانية إلى غاية الحرب المقدونية الثالثة، والحرب البونية الثالثة التي كان شاهدا عليها، كما أولى الأهمية بنظام الحكم والمؤسسات السياسية التي كان سبب نجاح روما، ولقد كتب بولبيوس أربعين كتاب لم يبقى منها سوى الكتب الخمسة الأولى، بينما الكتاب السادس إلى الكتاب الثامن عشر عبارة عن مقاطع متفرقة، لكن إبتدءا من الكتاب التاسع عشر لا نحتفظ إلا بمقاطع محدودة.[2]

ج/- تيتوس ليفيوس59 ق/م-17م: ولد تيتوس ليفيوس بمنطقة بادوا شمال إيطاليا،عاش في روما التي تلقاها بها تعليمه الأول إلى غاية وفاة أغسطس، ثم إنتقل إلى مسقط رأسه وتفرغ لكتابة التاريخ

1- الشاذلي بورونية ، محمد طاهر، قرطاج البونية،الإسكندرية ، 1999، ص 28.

2- المرجع نفسه، ص30.

بعدما رفض ممارسة السياسة نظرا للأوضاع المضطربة التي عرفتها روما في تلك الفترة، ألف كتاب تحت عنوان "تاريخ روما"، يمتد من تأسيس مدينة روما إلى غاية السنة التاسعة قبل الميلاد، وقسمها إلى 142 كتاب بقي منها خمس وثلاثون كتاب وبعض المقتطفات من الكتب الأخرى، ولقد أبدى اهتمامه بالنظام الجمهوري.[1]

ح/- بلين الكبير 23-79م: عاش بمنطقة فيرو خلل القرن الأول قبل الميلاد، وألف كتاب بعنوان التاريخ الطبيعي المتكون من سبعة وثلاثين جزء، فيه ما يتعلق بالطبيعة والفن والآداب خاصة الكاتب الخامس الذي وضع فيه كل المعلومات المتعلقة بأنهار ومدن بلاد المغرب القديم من خلال الوثائق التي تحصل عليها، بحكم قربه من الإمبراطور فاسباسيان.

خ/- سالوستيوس 86-34ق/م: هو كايوس كريسبوس سالوستيوس ولد بإقليم سابين بأميترنوم خلال فترة ماريوس، إعتبر سالوستيوس التاريخ بأنه حقل معرفي يدرس من مختلف الجوانب ويعمق في الأسباب والخلفيات لمختلف الأحداث، ما أهله للقب رائد التجديد التاريخي لأنه خرج عن طريق الحوليات، وقد إشتهر في التاليف التاريخي بكتابه حرب يوغرطة، وكتاب مؤامرة كاتلينا وكتاب أخر تحت عنوان التواريخ الذي لم تصلنا الكثير من المعلومات عنه.

بالإضافة إلى كل ما سبق يمكننا إضافة مجموعة من المؤرخين الذين هم أيضا مصادر مهما لتاريخ المنطقة كبومبيوس ميلا، سويتون69-125ق/م، كلود بطليموس180/100ق/م، ديون كاسيوس230/155ق/م وبلوتارك46-120ق/م إلى غير ذلك من المؤرخين الذين لم نشر إليهم.

1- المرجع نفسه، ص32.

الجغرافية الطبيعية لبلاد المغرب القديم:

فيما يخص تضاريس افريقيا الشمالية فيمكن تقسيمها لقسمين رئيسيين أحدهما شمالي حديث التكوين وآخر جنوبي (الصحراء) قديم التكوين، ولكل قسم مميزات ويتميز القسم الشمالي بما يلي:

السهول: هناك نوعان من السهول ؛ نوع يمتد في الشمال على طول السواحل البحرية مثل سهل مجردة والسهول الشرقية بتونس، ثم السهول العليا الجزائرية المغربية والسهول الساحلية الغربية بالمغرب الأقصى التي تظهر على شكل أحواض مغلقة وهي ذات تربة خصبة فيضيه، ورسوبية تعود في تكوينها إلى الزمن الرابع، وهناك السهول الداخلية الممتدة بين الكتل الجبليةعالية الارتفاع تزيد في عمومها عن 500م ،أهمها سهلا فاس ومكناس بالمغرب وسهل قسنطينة بالجزائر...الخ.[1]

الجبال: تمتد في الشمال الأفريقي سلسلتان متوازيتان من الجبال ؛ السلسلة الأولى مقابلة للساحل مباشرة (الأطلس التلى) والسلسلة الثانية داخلية موازية للسلسلة الأولى (الأطلس الصحراوي)، وهي عبارة عن حاجز يعيق مرور المؤثرات المناخية القادمة من الشمال إلى الداخل، ومن أهم جبال هذه السلسلة: جبال الريف بالمغرب 2453م ، (جرجرة والبيبان بالجزائر، خومير بتونس...الخ، أما سلسلة الأطلس الصحراوي فتمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى رأس الطيب بتونس حيث تتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، وتقع ضمن هذه السلسلة أعلى قمة بالمنطقة وهي قمة طبقال(4265م)بالمغرب الاقصى، وعلى العموم فان متوسط ارتفاع (جبال أفريقيا الشمالية يتراوح بين 800 و 1200م [2].

السهول العليا: يتراوح ارتفاعها بين 500 و 1000م. أهمها المائدة المراكشية بالمغرب، والسهول العليا بإقليم سطيف بالجزائر...الخ، تتخلل هذه السهول المرتفعة مجموعة من البحيرات المالحة (السباخ) التي تصب فيها الأودية الداخلية.

1- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم،ط1،المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1992،ص14.

2- جوليان شارل أندري: تاريخ شمال إفريقيا)، تعريب محمد امزالي، الدار التونسية للنشر، تونس .1969، ص14

أما إقليم الصحراء تشكلت به منطقة شاسعة جافة تتميز بمجموعة من المظاهر التضاريسية وهي: العرق الذي هو عبارة عن كثبان رملية متنقلة بفعل الرياح مثل العرق الشرقي الكبير بالجزائر، وهناك الرق الذي هو عبارة عن تكوينات حصوية مثل رق تانزروفت بالجزائر، أما الحمادات فهي هضاب رملية و جيرية مثل الحمادة الحمراء بليبيا وتادمايت بالجزائر، بالإضافة إلى بعض الجبال القديمة التكوين كجبال الهقار بالجزائر.[1]

تعتبر المياه من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في مختلف أوجه الاقتصاد ، خاصة جانب الزراعة الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالري، ولأفريقيا الشمالية مصادر متنوعة من هذه المادة لكن استغلال المياه الجوفية في الري الزراعي قد بقي محدودا مقارنة بالمياه السطحية التي يشكل التساقط مصدرها الأساسي.

يمكن تصنيف أودية الشمال الأفريقي إلى عدة أصناف، سواء من حيث الطول أو كمية التصريف أو فترة الجريان...الخ، ويبدو أن تصنيفها حسب مصبها أكثر وضوحا، بحيث يظهر هذا التقسيم ثلاث مجموعات: أودية تصب في البحر وهي عديدة ودائمة الجريان واغلبها ينبع من سلسلة الأطلس التلي أهمها وادي الشلف، وادي سيبوس بعنابة، أما في تونس فتشتهر منطقة الشمال الأكثر مطرا بأوديتها المنتشرة في كل الاتجاهات منها وادي مجردةأكبر وأغزر أودية تونس وينبع بالقرب من سوق اهراس ثم وادي خلادي ووادي سليانة والتي تنبع من جبال المجردة. أما بالمغرب فيعتبر وادي أم الربيع أهم مجري مائي بالمنطقة، أما الأودية التي تصب في الأحواض الداخلية فتتميز بتذبذب جريانها وتصب في الشطوط، وهناك نوع ثالث يصب في رمال الصحراء وهي عبارة عن أودية فجائية عديمة الانتظام لقلة التساقط بهذه المناطق من بينها: وادي ايغرغر الذي ينبع من الهقار ويصب في العرق الكبير الشرقي، و للتساقط علاقة مباشرة باختفاء الأودية بهذا الإقليم، فعندما اخذ مناخ

1-حليمي عبدالقادر علي، جغرافية الجزائر: طبيعية - بشرية - اقتصادية ، الجزائر، 1960، ص ص 50-51.

الصحراء الكبرى في الجفاف التدريجي والمستمر منذ عصر اختفت منذ تلك الأودية التي اكتسحتها الرمال[1].

أشارت المصادر القديمة عرضا إلى العديد من المجاري المائية ، فقد حدثنا هيرودوت عن بحيرة التريتون التي افترض اغزال أن يكون موقعها بجوار خليج السيرت الصغير (خليج قابس)، أما بلين فقد ذكر وادي توسكا و وادي أمساغا (الوادي الكبير حاليا)، و ذكر وادي الملوية عند المؤرخين والجغرافيين القدامى ومن بينهم سترابون الذي اعتبره حدا فاصلا بين بلاد المور وبلاد الماسيسيل، أما بروكوب فقد حدثنا عن استغلال مزارعي منطقة الأوراس لوادي أبيغاس بنقل مياهه عبر قنوات باطنية إلى حقولهم[2].

إن الدور الاقتصادي لأودية الشمال الأفريقي في نظر البعض قد ظل تقليديا مع أن بعض المدن الشمال الأفريقية عبر التاريخ قد قامت على ضفافها، وما يجدر الإشارة إليه هو الدور الذي لعبته هذه الأودية والري على العموم في التاريخ القديم للمنطقة ، حيث هناك عدة دلائل تشير إلى الاستغلال المكثف لمياهها خصوصا أودية الداخل والجنوب التي عثر على ضفافها على الكثير من منشآت الري التي يعود اغلبها إلى الفترة الرومانية[3].

أما فيما يخص المناخ فهو من العناصر التي تعرف تغيرا باستمرار نظرا لارتباطه بعدة عوامل مؤثرة فيه، وهو حال المناخ بشمال أفريقيا الذي شهد تغيرات عديدة منذ أقدم العصور، وهو في وقتنا الحالي مناخ متنوع ومستقر في حالته العامة لكن بعض خصائصه عادة ما تعرف تغيرات مفاجئة تتسبب في إحداث خسائر معتبرة في الاقتصاد والثروة الحيوانية والنباتية، ويعتبر الموقع الجغرافي والفلكي اكبر مؤثر في هذا التنوع والتغير، فالمنطقة تطل على واجهتين بحريتين وتشرف جنوبا على صحراء واسعة، يضاف إليها ارتفاع التضاريس ونوع الرياح والضغط الجوي الذي يتحكم هو الأخر في عناصر المناخ.

1-جودة حسنين جودة، **الجغرافيا الطبيعية لصحاري العالم العربي**، ط9 ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1885، ص65.

2- Procope de Césarée, **Bellum Vandalorum** , traduit par D.Roques ,Belles Lettres, Paris 1990,II,19,12.

3- Gsell. (S), H.A.A.N, T1 ,Ed hachet,Paris,1920, pp26-27.

يسود المناطق الساحلية لأفريقيا الشمالية مناخ البحر المتوسط الذي يتميز شتاؤه بالمطر والاعتدال وصيفه بالحرارة والجفاف ، وبه منطقتان: منطقة رطبة تغطي بالجزائر المنطقة الممتدة من جرجرة إلى منطقة القل حيث يزيد معدل المطر بها عن 1000ملم في كل من منطقة جرجرة والبابور وحوالي 2000 ملم في منطقة القل، التي تقع بها منطقة الزيتونة التي تعد أكثر المناطق تساقطا، ثم نجد مناطق شبه رطبة تغطي باقي مناطق الساحل بمعدل تساقط يقارب 700 ملم سنويا، وتحت هذه المنطقة توجد منطقة النجود التي تتميز بمناخ شبه جاف لان الرياح القادمة من الشمال تكون قد أفرغت حمولتها بالجبال الشمالية.[1]

تعتبر أمطار البحر المتوسط التي تجلبها الرياح من الجهة الغربية من النوع الإعصاري، والدور يعود للمنخفضات الجوية التي تدفعها الرياح الغربية إلى المنطقة ، كما أن المرتفعات الجبلية تعرف تساقطا أكثر من المنخفضات ذلك أن الكت ل الهوائية المشبعة القادمة من الشمال أو الغرب تصطدم بها وهو ما يولد تكاثفا ثم أمطارا تتناقص تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا، مثلما تتناقص كلما اتجهنا شرقا نظرا للعوامل السالفة الذكر.[2]

تتميز الأقاليم الصحراوية الجنوبية بسيادة الحرارة على امتداد أيام السنة، خاصة في فصل الصيف أين تعرف درجة الحرارة ارتفاعا قياسيا ، فتاريخيا سبق وان سجلت منطقة العزيزية القريبة من طرابلس ارتفاعا في درجة الحرارة وصل إلى 59°، كما سبق وان سجل بعين صالح وتيميمون درجة حرارة قريبة منها، أما في الليل فان درجة الحرارة تشهد انخفاضا يقل عن الصفر في بعض المناطق، فارتفاعها نهارا وانخفاضها ليلا يشكل اتساعا في المدى الحراري، فارتفاعها نهارا وانخفاضها ليلا يشكل اتساعا في المدى الحراري، أما الأمطار فهي شبه منعدمة في هذه المناطق تقل عن 100 ملم سنويا،

1-لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دارالهدى، عين مليلة، ص. 14.

2- طريح عبد العزيز شرف، الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ أفريقيا ومناخ العالم العربي، دار .المعرفة الجامعية، ص ص358-359.

ما عدا الهقار والمناطق المجاورة له والتي تتميز بأمطار صيفية تقارب 400ملم سنويا، ناتجة من الضغط القادم من المنطقة المدارية.[1]

وحول الحالة المناخية السائدة قديما ذكر هيرودوت خلال وصفه للمناطق الصحراوية الجنوبية أن "لا اثر للأمطار والمياه والرطوبة و النباتات والغابات بهذه المناطق القاحلة" كما وصف ديودورالصقلي المنطقة الممتدة جنوب قورينائية بأنها " أرض جرداء تنعدم فيها المياه ، وصحراؤها تظهر على شكل بحر ويعتبر التوغل فيها مغامرة ، وما وراء هذه المنطقة لا توجد إلا الكثبان الرملية ، وهي نفس الأوصاف التي وصف بها سترابون الدواخل الليبية، أما بلين فقد اخبرنا بدوره عن تلك الرياح الحارة القادمة من الجنوب خلال مواسم الشمس[2].

وقد أكد غزال أن مناخ المنطقة خلال الفترة القديمة كان قريبا في خصائصه من المناخ الحالي، حيث يميزه جفاف معتاد في الصيف وأمطار متذبذبة، وهناك عدة قرائن تشير إلى ذلك منها سباخ منطقة قسنطينة التي تدل حدودها على أنها لم تكن أوسع مما هي عليه اليوم، كما أن الجسور التي أنشئت في العهد الروماني لم تشيد لاجتياز أودية عريضة ولا لمقاومة تيارات مائية أقوى [3].

إن المناطق الشمالية التي تشهد تساقطا كبيرا مقارنة بالمناطق الجنوبية هي التي تعرف انتشارا للغابات ذات أشجار دائمة الاخضرار تتحمل جفاف الصيف كأشجار الصنوبر ذات الأوراق الإبرية والبلوط والفلين، أما الأشجار التي تنفض أوراقها في فصل الخريف فهي منتشرة على نطاق محدود بهذه المنطقة ، إلى جانب ذلك تنمو في هذا النطاق الأحراشالتي تتخللها أشجار قصيرة متباعدة.[4]

ولأن درجة الحرارة بهذه المنطقة لا تقل عن الصفر إلا نادرا فان ذلك يسمح بإقامة زراعة متنوعة وشبه دائمة للأشجار التي لا تحتاج إلى ري مثل الزيتون والكروم والتين وأشجار الفواكه التي تحتاج إلى الري كالخوخ والحمضيات...الخ، أما زراعة الحبوب والشعير فتتزامن مع فصل الشتاء الممطر ويسمح

1-حميدة عبدالرحمان، جغرافية الوطن العربي، ط5 ، دارالفكر المعاصر، دمشق ، 1997. ص22.

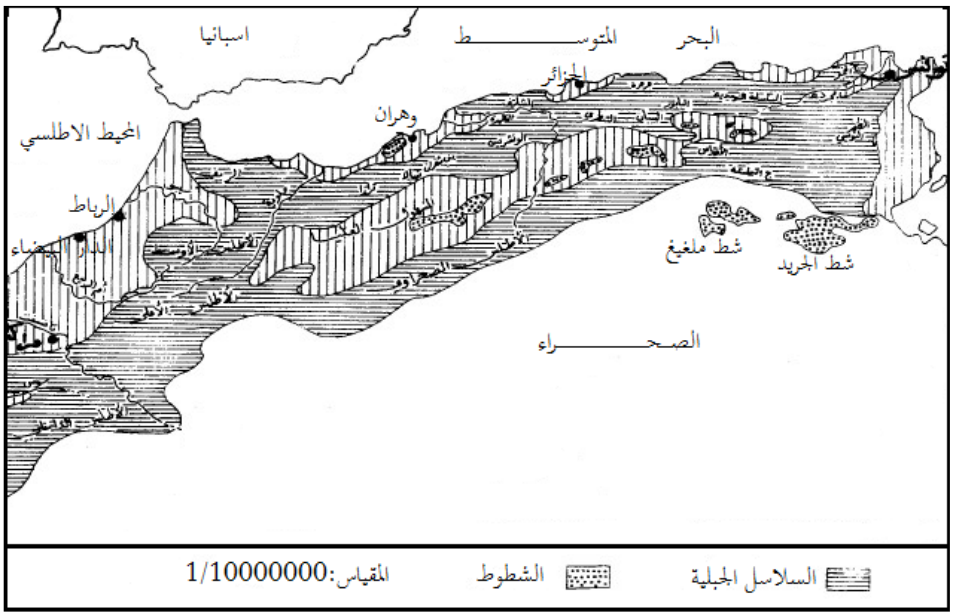
2- Pline l'Ancien,Histoire naturelle,trad.L.Emile,Paris,1850. XVIII,CCCXXIX.

3- Gsell (St.), l'Algerie dans l'Antiquité, Typographie Adolphe Jourdan, Alger 1903, p62.

4- طريح عبد العزيز شرف، المرجع السابق، ص360.

وجود فترة حارة صيفا بحصد هذه المحاصيل.[1] أما منطقة السهول العليا التي لا تزيد كمية التساقط بها عن الغابات تختفي فيها وتسود بدلا منها الأحراش والمراعي الواسعة، ومن أهم نباتات هذا الإقليم الحلفاء والسدرة والدرين والشيح... أما الصحراء الواسعة فتسودها نباتات قصيرة المقاومة للحرارة بجذورها الطويلة وأوراقها الشمعية وتركيبتها الشوكية المنتشرة على الأودية وبين الأحجار.[2]

من خلال ما سبق نلاحظ بأن التباين وغياب التناسق هي الصفة التي تميز الخصائص الطبيعية لأفريقيا الشمالية بين الشمال والجنوب، ومن جهة أخر، فإنه رغم الإمكانيات الطبيعية المتنوعة التي تميز بلاد المغرب قديما إلا انه يجب الإقرار بان هناك بعض العوائق الطبيعية المعرقلة للاستغلال الزراعي والنشاط البشري كالجفاف الذي تشهده بعض المناطق خلال مواسم معينة وتذبذب المناخ وجفاف عدد كبير من الأودية صيفا خصوصا الأودية الداخلية والصحراوية.



تضاريس الشمال الأفريقي

. حارش محمد الهادي، التاريخ المغاربي القديم. المرجع السابق، ص19.

1- طريح عبد العزيز شرف، المرجع السابق، ص 361-362.

2- حليمي عبد القادر علي، المرجع السابق، ص 87-89.

السكان في بلاد المغرب القديم

إن التنوع في البنية الطبيعية التي تتمتع بها منطقة بلاد المغرب قديما جعلها محور إهتمام العديد من الشعوب من أجل الإستقرار بالمنطقة، ولعل قدوم الفنيقيين دليل واضح على ذلك، وكل هذا لا يلغي وجود شعوب إستقرت بالمنطقة في الفترة القديمة وهذا بناءا على ما تذكره المصادر المصرية والإغريقية واللاتينية، وسنحاول أثناء عرضها هذا الإشارة إلى هذه الأقوام أو المجموعات البشرية حسب أقدميتها.

التحنو: تقع بلاد التحنو على الحدود الغربية لدلتا النيل إلى غاية منطقة برقة و الأقاليم الجنوبية لواد النيل، و تتشبه الصفات بين المصريين و التحنو من حيث لون البشرة والقامة الطويلة، وتشهد على ذلك الأثار التي ترجع إلى فترة الدولة القديمة، ضف إلى ذلك طابع الصراع القائم بين الطرفين وهذا من خلال حجر بالرمو الذي عثر عليه في منطقة منف إبى حملة قادها القائد سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة ضد التحنو و أسر عدد كبير منهم.[1]

ولعل أهم النصوص التي تحدثت عن قبائل التحنو ترجع لفترة الملك" سحورع" من الاسرة الخامسة، والتي تحتوي على صور للأسرى مكبلين، وصور الثيران والكباش والمعز وتذكر أيضا إقليمين من بلاد التحنو.[2] كما نجد دراسات أثرية تشير إلى أوجه التشابه العرقية بين التحنو والمصريين. فبعض العلماء يعتقدون بأن التحنو من أصول مصرية وإلا لما أسسوا الأسرة الثانية و العشرون.

التمحو: ذكرت المصادر المصرية خلال القرن الثالث قبل الميلاد تسمية التمحو على الشعب الجديد تمييزا عن التحنو، و ذلك خلال فترة حكم الأسرة السادسة، بعدما شكل هذا الشعب فرقة في الجيش المصري و شارك في الصراعات المصرية مع الشعوب الأسيوية.[3]

1-محمد علي سعد الله، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2005، ص90.

2- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، 1966، ص12.

3-حسين سليم، مصر القديمة، ج7، القاهرة، 1950. ص24.

لم يكن التمحو فرعا من التحنو، بل كانوا جماعة عرقية جديدة لون بشرتها فاتح وعيونها زرقاء بينهم نسبة كبيرة ذات شعرأشقر 36 والحقيقة أن شواهد ما قبل التاريخ ممثلة في تلك

اللوحات البدائية المرسومة على صخور الصحراء الليبية، تشير إلى سكنى أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر في فزان والمنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى وكان ذلك خلال عصر الرعاة الذي حدد له تاريخ الألفين السادس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد.[1]

وتشير أغلب الدراسات وطبقا لنص" حرخوف" فان بلاد التمحو تقع غرب بلاد يام وجدت رئيس يام قد ذهب إلى ارض التمح ليضرب التمح في ركن السماء الغربي، ويرى عبد العزيز صالح أن قبائل التمحو انتشرت في طريق الواحات غرب النيل وامتدت حتى واحة سليمة، ومن المعروف ان المصريين قد اتخذوا من التمحو جنود الهم على هيئة فرق كاملة كما جاء على لسان ''ونى''،ومعنى ذلك أن التمحو عرفوا طريقهم إلى مصر فلابد تبعا لذلك ان ازداد عددهم، ومن ثم لا نستبعد أن يكون قادتهم قد أصبح لهم مكانة ونفوذ إبان تلك الفترة، ولعل مكانتهم هذه بالإضافة إلى زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول كانت من العوامل التي دفعت بموجات جديدة من التمحو للاستقرار في مصر، حيث تشير الدلائل إلى انه حدث زحف قام به قوم من الجنوب في فترة تعاصر عصر الانتقال الأول في مصر وانتشروا بمحاذاة النيل شمالا وقد تخطا في زحفهم الجندل الثاني، ثم اكتسبوا في طريقهم سكان بلاد النوبة السفلى ثم تابعوا سيرهم حتى الجندل الأول، كما تدل نتائج الأبحاث الأثرية في هذه الجهات ان هؤلاء القوم من جنس واحد وهم ليسوا من الزنوج، وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة، وليس أمامنا ما يشار إليهم على هذا النحو إلا التمحو الذين لا يستبعد أنهم سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال، لا سيما أن الكشوف الأثرية تعم مثل هذا الاحتمال.[2]

1-موري تادرارت اكاكوس (الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ)، طرابلس،1988 ، ص18.

2-أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م. الهيئة المصرية للنشر، 2000. ص38.

الماشوش: الماشواش هم شعب ليبي يذكرهم جاردنر بقوم الماكسويس الذين ذكرهم هيردوت بالقرب من تونس، وربما أشير للماشواش ضمن الشعوب الشمالية التي أخضعها "تحمس" الثالث إلا انه لم يستعن بهم، ومنذ ذلك الوقت ليس هنا كما يخص الماشواش حتى عهد "حورمحب" آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد وجد اسم الماشواش على تمثال في مدخل معبد "رمسيس" الثالث بالكرنك، وأقدم إشارة للماشواش كفرقة عسكرية ضمن فرق الجيشا لمصري ترجع لعهد "رمسيس" الثاني حيث ذكر واجيهاند يزانج البربر الأصليون، مع الشردنو الكهف والنولبيين، وربما اخذ هؤلاء أسرى في معركة ليبية قبلا أو في عهد "رمسيس" الثاني، أما في عهد" مرنبتاح" فكان الماشواش ضمن حملة منظمة قادها زعيم الليبو ماراى، وقد لعب الماشواش دورا ثانويا في الحرب الأولى ''لرمسيس'' الثالث مع الليبيين، إلا أنهم كانوا العدو الأول في الحرب الثانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نسمع عن الماشواش أكثر من الليبو والحقيقة ان هناك صفات كثيرة مشتركة بين الشعبين مما يثبت أنهما كانا من جنس واحد ولكنهما يختلفان في بعض التفصيلات.[1]

كما عرف المشوش بإستخدام السيوف الطويلة التي تحتمل أنهم تحصلوا عليها من شعوب البحر، لأنهم لا يستطيعون صناعتها بسبب ندرة التكوينات المعدنية في بلادهم، كما كانو غير قادرين على إصلاحها بدليل العدد القليل الذي تحصل عليه رمسيس الثالث كغنائم.[2]

الليبو: لعب الليبو دورا هاما في تاريخ المصريين، حيث شاركو في الحروب ضد مرنبتاح ورمسيس الثالث، وتمكنو بعد حروبهم من الدحول إلى مصر ليحتل بعضهم مراكز هامة في البلاد،خاصة وأن الحدود الغربية لمصر كانت مفتوحة أمامهم نسبيا لذلك أصبحوا يتجولون فيها على شكل جماعات و يسببون إضطرابات في عاصمة البلاد، وتقضي على الأمن لعدة أيام كلما جاؤا إليها، وتاجع ذكر اللبيين بعد الأسرة الواحدة والعشرون ولا يذكرون إلا في لوحة شيشنق، وفي عهد شيشنق الرابع وكذلك في عهد عنخ حد من الأسرة الثانية والعشرون.[3]

1- أحمد عبد الحليم دراز، المرجع السابق. ص43.

2-مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق،ص18.

3-محمد بيومي مهران، المغرب القديم،،الإسكندرية،1990. ص ص87-88.

وقد أطلقت تسمية الريبو على نفس الشعب و هي قبيلة تسكن شمال غرب بلاد المغرب القديم، وعلى مسافة بعيدة من مصر خاصة و انهم إستقرو في جبال الأطلس التلي ما بين غرب بلاد التمحو إلى برقة و الجبل الأخضر و الوحات جنوبا، وتنتشرأحد عشائرهم في واحة سيوة بمصر، و يظن المؤرخون ان هؤلاء هم الأجداد المباشرين للنومديين، و بمرور الزمن أصبح إسم اليبو يدل على كل المنطقة الواقعة غرب واد النيل.[1]

مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد تمكنت الانصر الليبية المقيمة هركلة" heracliopolis بالفيوم من إعتلاء مراكز مهمة في الدولة، وتمكن أحد أفرادها وهو شيشنق الأول من تأسيس الأسرة الثانية والعشرون حوالي 950 سنة قبل الميلاد، وفي أواخر القرن السادس قبل الميلاد ظهر الدور الليبي بقوة خلال قيادتهم لعدة ثورات و المساهمة في إستقلال مصر عن الفرس بين (525-404 ق-م)[2].

الإفريقيين: هي كلمة مركبة من عنصرين لوبي ولاتيني وتعني إفري في اللغة المحلية والتي تدل على سكان المغارات، و إفريقيا تسمية تطلق على شمال القارة الإفريقية الحالية، وإستعمال هذه الصيغة يقف عند العصور القديمة بعد أن شاع استخدامها في المرحلتين الرومانية والبيزنطية.[3]

وإفريقيا هي كلمة مشتقة من تسمية " إفر"، خاصة وأن محمد فنطر خصص دراسة لهذا الموضوع، وتوصل إلى أن ربط هذا المصطلح بجذر ليبي اشتقت منه مختلف الكلمات المتداولة في المنطقة، وبذلك التأكيد على الأصول المحلية للتسمية، التي أطلقها الرومان على الأراضي القرطاجية التي إحتلها سنة 146 ق.م، و مع مرور الوقت بدأ إسم القاطعة يتوسع ليشمل كل أراضي شمال إفريقيا من طرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وأصبح يطلق فيما بعد على كامل القارة عكس الإغريق.[4]

1-شارل اندري جوليان،المرجع السابق، ص71.

2-حسن احمد سليم، موسوعة تاريخ مصر، ج1،مصر،1972،ص32.

3-سيف الدين كاتب، اطلس التاريخ القديم، ط4، دار الشرق العربي للطباعة والنشر و التوزيع،بيروت،2008،ص102.

4-محمد الهادي حارش،المرجع السابق ،1992،ص25.

البربر: إنتشرت هذه التسمية في بداية الفتح الإسلامي ، حيث كان المسلمون ينظرون إلى بلاد المغرب نظرة إعتراف بالوحدة العرقية الحضارية، وهم يدركون ما يوحد بين قبائلهم و ما ينفرهم، و قد إتفق أغلب المؤرخين الأروبيين أن تسمية البربر جاءت من الكلمة اللاتينية « Barbarus » والتي تعني البعيدين عن الحضارة اللاتينية[1].

أمازيغ: إن الإنتشار الواسع لهذه التسمية في بلاد المغرب دفعت قابريل قامبس يعتبرها الإسم الحقيقي للسكان المحليين، ويتعلق الأمر بالجذر M.Z.G، ونجده في الفترة الرومانية بالتسميات التالية: Mazices.Mazaces.Mazazeces

أما عند هيرودوت فيذكرها Mazyes ، و Maxyes عند هيكاتايوس، وإموساغ Imusagh عند سكان فزانن وImagighen عند سكان الصحراء، و Imazighe في الأوراس والريف الأطلسي، وعند التوارق يسمون أنفسهم Imuchar.

و إذا كان ستيفان قزال يعتبر بأن التسمية تعني النبيل والحر فإن إبن خلدون ينسبهم إلى أبيهم الأول مازيغ.[2]

1- محمد فنطر، اللوبيون وحدة أم شتات، مجلة إفريقية للدراسات اللوبية الفينيقية والأثار اللوبية، ع12، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002، ص47.

2- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص26.

التوسع الفينيقي في غرب المتوسط

الحضارة الفينيقية: ظهرت على الساحل الفينيقي الممتد بين خليج الإسكندرونة في الشمال إلى صحراء سيناء جنوبا، وسلسلة جبال لبنان الغربية من الشرق التي تشكل حاجزا من الشمال إلى الجنوب و البحر المتوسط من الغرب والذي يعتبر همزة وصل بينهم و بين الشعوب الأخرى، خاصة وأن طول الساحل يبلغ طوله 440 كلم، بالإضافة إلى الثروة الغابية التي ساعدتهم على صناعة السفن، ما أدى إلى تحول المنطقة إلى مركز حساس جذب أطماع مختلف الحضارات القديمة، والدليل على ذلك إستيلاء كل من المصريين والأشوريين، والكلدانيين، الفرس، اليونان والرومان فيما وبعد.

ولعل الطبيعة التوسعية التي عرف بها الفنيقيين في شرق المتوسط وكثرة المنافسة بين مختلف الحضارات على المنطقة دفعت بها الشعب للتوسع نحو غرب المتوسط، و يتفق المؤرخون على أن سنة 1200 قبل الميلاد، هو تاريخ قدوم الفنيقيين إلى المنطقة والتي كانت أساسا لأهداف تجارية، لكن مع مرور الوقت تحولت إلى إستيطان.

أسباب التوسع الفينيقي في غرب المتوسط:

أسباب سياسية:

تعود العوامل السياسية التي دفعت الفنيقيين إلى التوسع في البحر الأبيض المتوسط، إلى الصراع السياسي و العسكري الذي كانت تخوضه الدول المجاورة للساحل الفينيقي من أجل الإستيلاء عليه كالحضارة المصرية في واد النيل، والإمبراطورية الحثية في أسيا الصغرى، ثم الحضارة الأشورية في بلاد الرافدين التي بدأ نفوذها في المنطقة بعد القضاء على الدولة الحثية التي لم تستطيع التوسع نحو الغرب، وإزداد نفوذ الأشوريين في فترة الملك "تجلات فلاسر الأول الذي يعتقد أنه غزا سوريا و بلاد الحثيين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث تمكن من إدخال عدة مدن كجبيل وأرواد وصور ضمن الدول الخاضعة لسيطرته، بعدما أرغمت على دفع الجزية.[1]

1-نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، ج3، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص119.

بالإضافة إلى الأراميين في سوريا الداخلية الذين نافسوا الفنيقيين في التجارة البرية مع بلاد الرافدين خاصة وأن عاصمتهم دمشق تعتبر من أهم المراكز التجارية العامة في المنطقة، كما نجد العبرانيين الذين أرادو لعب دور هام في السواحل الفينيقية في فترة داود و سليمان.[1]

الأسباب الإقتصادية:

كانت للأسباب الإقتصادية إرتباطا وثيقا مع الأسباب السياسية، نتيجة تاثرهما بالعوامل البشرية والطبيعية، ولعل قلة المساحات الزراعية في الساحل الفينيقي دفع السكان على الإعتماد بالجانب التجاري وساعدهم في ذلك ما يلي:

مواقع مدنهم القائمة على رؤوس متوغلة داخل البحر، وعلى جزر متطعة بالقرب من الساحل ما وفر لهم الموانئ و أحواض لصناعة السفن.

توفر الأخشاب التي إشتهرت بها جبال لبنان مما ساعدهم على إحتراف صناعة السفن.

تحكم الفنقيين في الطريق التجاري الذي يصعد من واد النيل عبر صحراء سيناء و يربط مناطق إزدهار الحضارات القديمة في شمال سوريا و أسيا الصغرى و بلاد الرافدين.[2]

العوامل الإجتماعية:

لم يعرف الفنيقيون الوحدة السياسية في فترات تاريخهم، حيث كانوا يتبعون نظام دولة المدينة الذي فرضته عدة عوامل طبيعية وبشرية كانت تحيط بالمنطقة التي إستقروا فيها، وقد نتج ذلك الصراعات الداخلية بين المدن وكثرة المنافسة بين الملوك على الحكم، مما جعل الساحل الفنيقي عرضة لأطماع الشعوب المجاورة.

كانت المدن الفنيقية عبارة عن قلاع قوية محصنة بأسوار عالية يصعب على إقتحامها، كون معظمها بنتيت على رؤوس جزر داخل البحر، وقد نتج عن إتباع الفنيقيين لسياسة الإنحناء تجاه القوة

1- نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص120.

2-محمد كمال عياد، تاريخ اليونان، ج1، دار الفكر المعاصر، 1981، ص102.

المسيطرة في المنطقة أن قسمت فنيقيا إلى قسمين: شمالي تحت السيطرة الحيثية ثم الأشوريين، وجنوبي تحت السيطرة المصرية، ولقد حاولت المدن الفينيقية الإتحاد فيما بينها لكن دون جدوة نتيجة السيطرة الأجنبية، والصراعات الداخلية ما ولد إرتفاع نسبة السكان والتي تفوق إمكانية إستيعابها من طرف الساحل الفينيقي، ما أدى إلى تفشي الإضطرابات والخلافات على السلطة بين الطبقات الإجتماعية، هذه الخلافات التي تتضح معالمه في مدينة صور مع نهاية القرن التاسع قبل الميلاد بين الملكة أليسة وأخيها بيغماليون على وراثة العرش بعد وفاة والدهما متان وقتل بغماليون لزوج أخته الكاهم الأكبر "عاشر باص" بهدف الإستيلاء على ثروته و إنتزاع الحكم من أخته، عندما رأت أليسا عدم قدرتها على الوقوف في وجه أخيها، قررت الإنسحاب مع مؤيديها والبحث عن موطن جديد، وكان ذلك السبب الرئيسي الذي دفعها للتوجه نحو شمال إفريقيا، وتأسيس مدينة قرطاجة التي ستتحول إلى إمبراطورية في الحوض الغربي للمتوسط، وتسيطر فيما بعد على كل المنطقة و تدخل تحت لوائها كل المستوطنات الفنيقية الأخرى.[1]

1-محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط1، لبنان، 1979، ص52.

قرطاجة:

تأسست مدينة قرطاجة في حدود سنة 814 قبل الميلاد، وهو الرأي السائد في اغلب الروايات والمصادر التاريخية، خاصة وأنها مرتبطة بالأسطورة التي وصلتنا عن طريق جوستنيان الذي يقر بان هنالك خلاف حول وراثة العرش في مدينة صور الفينيقية بين الأخوين بغماليون وأليسة بعدما قتل زوج هذه الأخيرة "أشريباص" من أجل السيطرة على ثروته، وخوفا على نفسها وعلى أتباعها قرر الملكة أليسة الفرار رفقة حاشيتها إلى قبرص.[1]

بعد مدة قصيرة قرر الإنتقال إلى ليبيا وأطلق هنالك السكان المحليين إس مديدون لكثرة تنقلها، وبعد تأسيس المدينة طلب منها الملك المحلي الزواج منها لكنها رفضت، ومع إصرار أتباعها قررت الإنتحار حتى تبقى وفية لزوجها و لي عهدها.[2]

وما يؤكد الواية مانجده عند يوجستنيان الذي يقول أيضا:"بعد وفاة ملك مدينة صور، إنتقل العرش إلى إبنه بغماليون وأليسة، لكن الشعب إختار بغماليون، أما أليسة فلقد تزوجت خالها عشر باص، كاهن معبد ملقرت، الذي كان غنيا، ولما خاف على ثروته قام بدفنها في جدران المعبد، ولما علم بغماليون قام بقتله، اما أليسة تظاهرت بأنها لم تعطي الأمر أهمية، لكن في الحقيقة كانت تنتظر الفرصة للهروب مع أتباعها، و لما وصل الوقت المناسب قرر التوجه إلى قبرص أين إنضم إليها كاهن معبد "جونو" بعدما ضمن لنفسه الإشراف على الحياة الدينية، كما أخذت معها حوالي 80 فتاة من الجزيرة ليكن أزواجا للشباب الذين كانوا معها، ونزلت فيما بعد في ليبيا بالقرب من مدينة أوتيكا أين رحب بها الأهالي،[3] بعد وقت قصير قررت الملكة شراء قطرة أرض تعادل جلد ثور حيث قطعته إلى خيوط رقيقة أحاطت بها مساحة تكفي لبناء المدينة الجديدة، لكن فيما بعد جاء إليهم سكان أتيكا و طلبوا منهم تأسيس المدينة في الموقع الذي نزلوا فيه، وبالطبع وافقوا على ذلك شرط دفع ضريبة

1- Justin, Histoire Universelle, trad. Par : Perrot. (J), et Boitard. (E), Panckoucke, (1873), (2 vol), liv. XVII.3-6 .

2- Timée de Taormine, fragment d'histoire grecque n °23 d'après pierre cintas, manuel d'archéologie punique, éd picard, paris (1970), p620.

3- Justin (Junians Marcus), Abrégé des histoires philippiques de trogue pompée, textes établi et traduit par Marie Arnaud –lindet , a digital Library of latin littérature, XVIII, 4, 5,6.

سنوية لليبيين، لكن مع إمتداد المدينة قرر ملك الماكيستاني طلب الزواج من الملكة مهددا إياها بالحرب إذا رفضت، لكن حتى تبقى هذه الأخيرة وفية لزوجها، أقامت محرقة كبيرة و قدمت القرابين ثم ألقت بنفسها فيها،[1] وإستمرت بذلك هذه المدينة التي ستتحول مع مرور الوقت إلى إمبراطورية في الحوض الغربي للمتوسط.

المظاهر الحضارية لقرطاجة:

المظهر الإقتصادي:

تميز الحياة الإقتصادية القرطاجية بالنشاط التجاري الذي ورثته من المدينة الأم "صور" والذي يجلب لهم أرباح طائلة، خاصة منذ التأسيس إلى غاية القرن الخامس نتيجة قلة العنصر البشري الذي تعاني منها المستوطنات الفينيقية، و م تغير قرطاجة من سياستها إلى غاية القرن الخامس بعد هزيمتها في معركة هميرا سنة 480 قبل الميلاد، و منافسة الإغريق لهم في جزيرة صقليا و قورينا في ليبيا[2]، هذه الأحداث أدت إلى تراجع مواردها الإقتصادية ما دفعتها للتفكير في تغيير سياستها و التركيز على النشاط الزراعي بالإعتماد على التوسع البري ما يسمح لها بكسب مساحات زراعية كبيرة على حساب جيرانها الليبيين، وأسفرت هذه السياسة عن ظهور طبقة أرستقراطية تهتم بالجانب الزراعي كمورد رئيسي، عن طريق إستغلال أراضي الضياع بالنومديين الذين يشكلون اليد العاملة المهمة التابعة لقرطاجة.[3]

بإهتمام قرطاجة بالجانب الزراعي ظهرت المساحات الزراعية الكبرى، التي تشمل مختلف المنتوجات كالقمح، وبساتين التين، الزيتون و الرمان، بالإضافة إلى الخضروات والقح والشعير، ولقد ساعدهم في ذلك الخبرات التي يمتلكونها في هذا المجال، والعلماء أيضا كماقون الذي ترجمت أعماله

1- Justin (Junians Marcus), op cit, XVIII.

2- محمد الصغير غانم، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة الدكتورة درجة الثالثة، معهد التاريخ الجزائر، 1981-1982، ص 323.

3- محمد البشير شنيتي، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب(سياسة الرومنة (146-40 ق-م)، ط2،1985، ص55.

إلى اللغات اللاتينية والإغريقية، و تم نقلها من طرف مؤرخون أخرون مثل فارون، وبدأ فيما بعد إرتفاع عدد الأفراد المرتبطين بالأرض و الذين سيلعبون دورا هاما مستقبلا كالعبيد[1].

المظهر الديني:

تبنى القرطاجيون في المرحلة الأولى من تأسيس المدينة على الديانة السائدة في الحضارة الفنيقية، لكن مع مرور الوقت تغيرت هذه الديانة الشرقية، بعدما إمتزجت بالديانة المحلية أو التي إحتكت بها ويظهر ذلك من خلال الديانة الليبية والمصرية، و لقد كانت الظواهر الطبيعية هي أول الأشياء التي تمت عبادتها و تخصيص ألهة خاصة بها نتيجة الغموض السائد حولها، إذ نجد عبادة الشمس التي خصص لها إله تحت إسم "بعل" وعبادة القمر "تانيت"[2].

كان القرطاجيون يعتقدون بتعدد الألهة التي يختص بها كل جانب، فعبدوا ألهة متعددة كبعل حمون، وتانيت، وملقرت حامي المدينة، وكان لكل إله معبد خاص به، يتم فيه ممارسة الطقوس الدينية وتقديم القرابين، بالإضافة إلى الإله أشمون المتحكم في الصحة، والغله عشتارة إلهة الخصوبة وبعل شمين إله السموات[3].

شيد القرطاجيون عدة معابد لألهتهم، والتي تمثل الأماكن المقدسة التي مارسوا فيها عبادتهم واقموا بها الطقوس الدينية، ولقد حافظت المعابد القرطاجية على الأقسام الأساسية المعروفة عند الفنيقيين، حيث تعددت أنواع وأشكال المعابد وإختلفت أحجامها، إذ نجد المعابد الضخمة المشيدة والمصلات الصغيرة والمعابد الغير مبنية وبعض الاماكن الأخرى كالمرتفعات وقمم الجبال، ولقد كانت تلك المعابد عبارة عن ساحات واسعة محاطة بأسوار ضخمة ومرتفعة تفصل العالم الحياة الدينية عن العالم الخارجي.[4]

1- Gsell. (S),T4, op cit, p.08 .

2-الجيلالي عبد الرحمن محمد،تاريخ الجزائر العام،ج1،دار الثقافة الجزائر،ط1980،4،ص53.

3- Conteneau. (G), Civilisations anciennes du proche orient, Paris, (1960), pp.110 -111.

4- Visite de Carthage, éd. Maison tunisienne de l'édition, Tunis, 1973, p22.

قدم القرطاجيون للألهة عدة قرابين مختلفة منها نباتية ومنها حيوانية، إذ نجد ما يحرق منها وما يكن هدية لإرضاء الألهة، ومهما يكن إلا أن القرابين البشرية هي أشهر القرابين التي قدمها القرطاجيون لألهتهم، ما جعلهم يختلفون عن الشعوب الأخرى[1].

اللغة البونيقية:

كان الفنيقيون يتكلمون اللغة الفنيقية ذات الأصول الكنعانية التي كانت منتشرة في الحوض الشرقي للمتوسط، لكن مع مرور الوقت اصبحت هذه اللغة غير قادرة على الصمود أمام اللغة الليبية المحلية حيث دخلتها بعض الألفاظ والأسماء المحلية التي أبعدتها نوعا ما عن الطابع الشرقي[2]، ولقد إختلف المؤرخون حول أصول الأبجدية الفنيقية، فمنهم من ربطها بالأبجدية المصرية ، ومنهم من ربطها بالكتابة المسمارية، ومهما يكن إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن الكتابة الفنيقية تختلف عن الكتابات التي سبقتها كالهيروغليفية والمسمارية، وهي كتابة محلية ظهرت في الألف الثانية قبل الميلاد[3].

تتكون الأبجدية الفنيقية من 22 حرف و تقرأ الكتابة من اليمين إلى اليسار ،وإنتشر هذه الكتابة في كل الأراضي القرطاجية والأراضي التي كانت تحت التأثير القرطاجي، ولقد عرفت تطورا في بلاد المغرب القديم فيما بعدما تحولت إلى لغة و كتابة بونيقية، ما دفع علماء الأثار يسمنها بمصطلح: نيو-بونيقي (البونيقية الجديدة) خاصة بعد تدمير قرطاجة[4].

1- Gsell. (S), T 3,op cit, p. 405.
2- Courtois. (Ch), Saint Augustin et le problème de la survivance du punique, R. Af. N° 424 – 425 (1950),pp. 259-261.
3- Conteneau. (G), op cit,pp. 254-255.
4- Fantar. (M. H), Téboursouk : stèles amépigraphique à inscription neo-punique, Paris, (1976), p. 01-08.

المماليك الوطنية

يجمع المؤرخون القدماء منهم والمحدثين على ان نوميديا كانت تشتمل على تكتلات قبلية أشهرها قبائل المازيسيل والماسيل[1] التي ستنتظم في شكل ممالك في احدى فترات فجر التاريخ والتي تحدثت النصوص الاغريقية واللاتينية عنها خلال الحرب البونيقية الثانية التي تسجل في نظر البعض دخول بلاد المغرب القديم في التاريخ[2]، إن كل ما كتب في شأن هذه الممالك يستند بالكامل على فرضيات ، بحيث لا نعرف غير أسمائها وموقعها بالتقريب.[3]

أما عن نشاة الممالك النوميدية فذلك نتيجة لعنصرين وهما: بروز قبيلة قوية تمسك زمام الامور وتفرض نفسها على البقية. وتأثير الجوار القرطاجي.

وقد جرى توحيد هاتان المملكتان على يد الملك ماسينيسا انطلاقا من سنة 203 ق.م، بعد إنتصاره على سيفاكس ملك نوميديا الغربية، في مملكة واحدة تعرف بالمملكة النوميدية الموحدة.

- **المملكة الماسيسيلية (نوميديا الغربية)**: تمتد المملكة الماسيسيلية من وادي ملوشا الملوية، وتنتهي عند رأس التريتون[4]، ومن الصعب تثبيت الحدود الأولى لمملكة سيفاكس، ففي الجهة الغربية يبدو أن الحدود الممثلة في الملوية ظلت على ما هي عليه دون تغيير منذ حكم باقا وسيفاكس.[5] لكن بالنسبة للحدود الشرقية يختلف الأمر حيث تميزت بعدم الاستقرار، إذ كانت تتوسع وتتقلص حسب الظروف السياسية،[6] ويبدو أنه كانت لسيفاكس حدود مشتركة مع قرطاجة بسبب التوسعات الماسيسيلية المتتالية على حساب المملكة الماسيلية.[7]

1-غانم, محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ خالجزائر القديم. الجزائر، 2011، ص .34.

2- Camps, G., «Origines du royaume massyle », *RHCM,* t.3, 1967,p.29.

3- Ibid, p. 163.

4- Strabon, XVII ; 3.9.

5- Camps, G., op cit, p. 168 .

6-.فنطر محمد .يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، تونس،1970، ص33

7- Desanges, J.,Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe siècle avant J-C. – IVe siècle après J.-C.), Rome,Collection de l'École française de Rome, 1978 , p.646

أما الحدود الجنوبية للمملكة فهي صعبة التحديد لأن الأراضي الخاضعة للماسيسيل كانت تمتدحتى تخوم جيتوليا[1]، كمنطقة مداروش التي كانت ملكا للماسسيسيليين،[2] خاصة وأن الجيتول يقطنون أراضي شاسعة ولا يخضعون للسلطة الملكية المركزية.

وبهذا تكون قد شملت أراضي شاسعة وغطت ثلثي مساحة الجزائر الحالية إضافة لجزء المغرب الشرقي، حيث توجد هناك نصوص ونقوش تذكرهم حتى في الريف المغربي.[3] وظهر سيفاكس خلال الحرب البونية الثانية وبالتحديد في سنة 213 ق.م كسيد في منطقة مضيق جبل طارق،[4] ولم تتوقف سلطته في بلاد المور عند هذا الحد، حيث أننا نجد عدة كتابات كلاسيكية تربط طنجة بالماسيسيليين، كانت المملكة الماسيسيلية شاسعة للغاية إلى درجة أن كانت لها عاصمتان سيقا بالنسبة لمازيسيل الغرب وقيرطا بالنسبة لمازيسيل الشرق، كانت سيقا مدينة ماسيسيلية رئيسية اشير اليها دائما على انها عاصمة سيفاكسوفيها استقبل سنة 206 ق.م، أسدروبال وفيها سك عملته.[5]

تعتبر سيقا نواة قوة المازيسيل، وهي تقع في المناطق الغربية في الإقليم الوهراني. أما بخصوص قيرطا فتزال التساؤلات مطروحة حول انتماءها الأصلي، ان كانت جزءا من اراضي المازيسيل الاصلية أم هي ثمرة فتوحات سابقة.[6] وحسب ما جاء في نصوص تيت–ليفيوس فان المدينة كانت مازيسيلية[7]، أما موقعها فهي تقع داخل الأراضي الماسيلية[8]، بعد إنهيار المملكة الماسيسيلية استمرت المنطقة الموجودة بين ملوية ورأس بوقرعون تعرف بإسم أرض الماسيسيليين مع أنها أصبحت ملكا للملوك المسيليين.[9]

1- Decret, F.,Fantar,Mh.,1982,*L'Afrique du Nord dans l'antiquité* ,Paris, p82.
2- Desanges, J.,op cit , p.647
3- Camps, G., 2011 ,*Les Berbère Mémoire et Identité* ,Alger, p.108.
4- Tite-Live, *Histoire Romaine*, trad, E. Lassérre, Paris,1949, XXIV ; 49 ,5
5- Camps, G., op cit, p. 169.
6- Decret.F, Fantar.Mh, op cit, p82
7- Tite-live, XXX ; 12,3.
8- Strabon, Geographie,trad.A.tardieu,Paris,1867. XVII ; 3,13.
9- قزال ستيفان، تاريخ شمال إفريقيا القديم،ترجمة.م. التازي سعود، المغرب، 2007 ، ص91، 92 .

تفيدنا النصوص الكلاسيكية بأن قبائل الماسيسيل ظهروا كقوة في إفريقيا منذ أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني ق.م، إلا أننا لا نعرف شيئا عن ظروف تشكل هذه المملكة التي دخلت في حسابات المتنازعين خلال الحرب البونيقية الثانية، والتي كان على عرشها آنذاك الملك سيفاكس ذو الاعتبار الكبير و الذي كان التحالف معه مرغوب من هذا وذاك وهو ما أدركه بدوره وعرض تحكيمه على الطرفين.[1]

يعتبر سيفاكس أول ملك ماسيسيلي الذي عرف لدينا منذ سنة220 ق.م، وكانت مملكته أقوى الممالك الافريقية[2]، إلى درجة أن سالوست وصفها بالإمبراطورية الواسعة والقوية[3].

2) المملكة الماسيلية (نوميديا الشرقية):

بعد رأس التريتون مباشرة تبدآ ارض الماسيل وبعدها تأتي المقاطعة القرطاجية التي تشبه البلاد السابقة[4]، وفي القرن الثالث يبدو أن هذه المملكة كانت تغطي الشرق الجزائري وغرب تونس لكن حدودها كانت متغيرة وخاضعة للوضعية السياسية والعسكرية التي تغلب في إفريقيا الشمالية و يمكننا عموما أن نقول أنها كانت محصورة بين الأراضي القرطاجية في الشرق ومملكة المازيسيل في الغرب،[5] أما في الجنوب فيبدو أنه كان لملوك الماسيل أتباعا من الجيتوليين، لكننا نجهل كلية طبيعة العلاقات القائمة بين الملك الماسيلي وهؤلاء الرحل الذين لا نعلم كيف إعترفوا بالسيادة الماسيلية.[6] وفي بداية الحرب البونيقية الثانية كانت سلطة الماسيل تمتد على الاوراس والشرق القسنطيني والجزء الأكبر من مجردة الوسطى وكذا الأراضي التي تحاذي السرت الصغرى في حدود أراضي الجرامنت.[7]

1- Decret, F., Fantar, Mh.,1982, p.81

2- Desanges, J., 1978, p.646.

3- سالوستيوس، حرب يوغرطة، تر: حارش محمد الهادي، الجزائر، 1997، ص 05.

4- Strabon, XVII,3, 13.

5- Decret,F. ,Fantar,Mh. ,1982, p .100

6- Camps.G, 1967, p.38

7- Decret,F., Fantar, Mh., p.100

عرفت هذه المملكة اقصى توسعاتها في عهد ماسينيسا الذي ربط مصيره بسكيبيون والإمبراطورية الرومانية وأصبح سيد المنطقة الممتدة من موريطانيا إلى المقاطعة البونية من ملوية إلى توسكا بالقرب من طبرقة[1].

اما فيما يخص أصل المملكة المرتبط بالموطن الأصلي للعائلة الماسيلية فقد حدد في اقصى غرب المملكة أي في منطقة جنوب سيرتا و بالضبط في منطقة جبل فرطاس الواقعة جنوب سيقوس وجنوب غرب تيقست [2]، التي شهدت تعميرا كبيرا بدليل كثرة المعالم الأثرية كما عثر في هذه المنطقة على نصب كبيرة الحجم تجسد الزعماء المحليين.[3]

أما عن تسمية المملكة فلا شك أن الماسيل إسم محلي وإختلفت صيغ المؤلفين القدامى لهذا الاسم إذ نجده عند المؤلفين الإغريق بصيغة الماسول خلافا للمؤلفين اللاتيين الذين إعتمدوا صيغة الماسيل أما في النقوش إستعمل لقب الماسيل.[4] الذي وقع الإحتفاظ عليه في عهد ماسينيسا ومن خلفه على الملك من ذريته.[5] أما في العهد الروماني احتفظ بهذه التسمية في إقليم سيرتا وتحديدا بين هذه المدينة و الاوراس حيث عثر على اسم ماسول على شاهد قبر في منطقة سيلة كما نجده على نقيشتان بجوار واد جرمان والملاحظ ان لقب الماسيل لم يستعمل قط في ناحية أخرى باستثناء النقيشة التي عثر عليها في منطقة السيليوم ويوجد واد صغير جنوب قسنطينة مازال يحمل هذا الاسم.[6]

من المعروف ان المملكة الماسيلية كان لها وجود على امتداد أجيال قبل ماسينيسا، لان هذا الأخير تلقى من الرومان حق المطالبة بالأراضي التي كانت تابعة لأسلافه.[7]

1- Servier, J. ,*Les Berbères*, Que sais-je,Alger,1990,p.43.
2- Desange, J., Dans Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Ed belle lettre ,Paris, 1980, p. 335.
3- Camps, G., 1967, p.33.
4- Desange, J., op cit, p. 335.
5- قزال ستيفان، المرجع السابق، ص 93.
6- Camps.G, 2011, p.106
7- Camps, G., op cit, p.160.

ويرى كامبس أن العائلة الماسيلية تعود إلى ثلاثة أجيال سابقة على الأقل،[1] لكن وبالرغم من هذا الإمتداد التاريخي العريق تبقى معرفتنا بها غامضة ، إلى غاية القرن الثالث ق.م من خلال الحروب البونية ,ويبدو أنها لعبت دورا هاما و حاسما على المسرح السياسي الإفريقى عشية هزيمة قرطاجة.

وهكذا نجد مجمل الكتابات الكلاسيكية و النقوش البونية تشير الى هذه المملكة في اطار الصراع القرطاجي الروماني، في فترة زمنية لا تتجاوز القرن الثالث ق.م.[2]

إن كان تاريخ الكيان الماسيلي إرتبط أساسا بفترة الحرب البونيقية الثانية، فإن هذا لا يلغي وجودها المسبق الذي تؤكده بعض الاشارات السابقة للحرب البونيقية الثانية، كإشارة ديودور الصقلي إلى ملك ليبي يدعى إيلماس حالف اغاتوكليس الاغريقي الذي غزا السواحل القرطاجية في نهاية القرن الرابع ق.م، وكانت دوقة هي عاصمة هذا الملك الليبي، وإن لم يكن يحمل صفة ملك الماسيل، واعتبر بعض المؤرخين المعاصرين إيلماس كأقدم ملوك الماسيل، ووضعه كامبس على رأس شجرة نسب ملوك الماسيل، إضافة إلى ضريح المدغاسن الذي ينسب إلى هذه العائلة والذي يؤرخ ما بين أواخر القرن الرابع و أوائل القرن الثالث ق.م.[3]

كما أشار بوليبيوس خلال حرب المرتزقة إلى زعيم نوميدي يدعى نارفاس الذي بعدما حارب القرطاجيين تحالف معهم، ولم يعطي بوليب لهذا القائد لقب ملك ولكنه أشار بأنه شخصية من مقام رفيع، ويقول بوليبيوس أنه من غير المستبعد أن يكون نارفاس من أفراد العائلة الماسيلية المالكة.[4]

المملكة الموريطانية: تعتبر أقل معرفة مقارنة بالمماليك النوميدية، رغم أن هنالك إشارة لهذه المملكة في القرن الرنبع قبل الميلاد، لكن لم تتضح معاليمها إلى غاية القرن الثالث، أثناء الحديث عن العلاقات القرطاجية التجارية مع الملك "باغا"، هذا الملك الذي زود ماسينيسا بأربعة ألاف فارس من

1- Desange , J., op cit, p.335.
2- Decret,F. ,Fantar,Mh. ,op cit , p.99
3- Ibid, pp. 99-100.
4- Polybe, *Histoire*, trad, D. Roussel, Paris, 1970 , I ;2, 78.

أجل حمايته و مرافقته من مملكة موريطانيا إلى غاية مملكة ماسيلسة، ثم نجد في القرن الثاني قبل الميلاد ذكر للملك "بوخوس" صهر يوغرطة الذي تحالف مع الرومان[1].

ومع كل الخدمات التي قدمها الملك الموريطاني للرومان توسعت هذه المملكة على حساب نوميديا، وبعد إندلاع الحرب الأهلية الرومانية بين بومبي وقيصر انحاز الملك الموريطاني إلى قيصر بينما يوبا الأول مع بومبي و أصبح مصير المنطقة مرتبط بما سينتج من الحرب، وبالفعل إنتصر يوليوس قيصر و قرر إزالت نوميديا من الوجود و إعطاء بعض أراضيها للملك الموريطاني كمكفاءة. بعد وفاة بوخوص الثاني سنة 33 ق.م لم يترك وريثا على العرش، حتى وصلت سنة 25 ق.م وهو تاريخ تولي يوبا الثاني عرش موريطانيا، فيظل السلام الروماني، الذين يريد ونفرضه على العالم القديم .الولاءات التي تبعها يوبا الثاني تجاه روما، شهد تبادل شعارات العرفان والصداقة بين ملك موريطانيا والإمبراطور الروماني فقرر تسمية اسم قيصرية على عاصمته التي كانت تسمى يول، وواصل يوبا الثاني سياسته هذه إلى غاية وفاته في 23 ق.م.[2]

بعد وفاة يوبا الثاني، اعتلى ولده بطلموس الحكم، وسار على خطة والده إلى غاية إغتياله من طرف الإمبراطور الروماني كاليغولا دون تحديد الأسباب الرئيسية وراء ذلك.

1- Ouisa ait amara,Recherche sur les numides et les maures face a la guerre, depuis le guerres punique jusu'a l'époque de juba Ier, Thèse de doctoras,France,S-D.p39.

2- جوليان شارل اندري، المرجع السابق، ص172

العلاقات القرطاجية النوميدية

العلاقات الإقتصادية: تعود العلاقات الاقتصادية بين القرطاجيين وسكان بلاد اللمغرب القديم إلى فترة سابقة لتاسيس قرطاجة، حيث كانت المواد التي يجلبها التجار الفينيقيين والقرطاجيين فيما بعد تباع للنوميديين وهؤلاء يوصلونها للمناطق الداخلية، لكن مع تأسيس قرطاجة إختلفت الأمور نوعا وتطورت بشكل ملحوظ خاصة بعد القرن الخامس قبل الميلاد حيث أصبحت العلاقات التجارية أكثر تنوعا وإهتماما، حيث كانت المعاملات التجارية تتم عن طريق المقايضة، لكن مع مرور الوقت وتتطور المبادلات التجارية قام الطرفين بسك العملة، وما يدل على ذلك كمية النقود القرطاجية التي عثر عليها في المدن النوميدية، ولم يقتصر التعامل مع المدن الساحل فقط بل توغل القرطاجيون إلى المناطق الداخلية دون إنشاء المستوطنات،[1] بعدما لعب البدو النوميديين دور الوساطة في المبادلات التجارية في نقل البضائع إلى أبعد المناطق ما مكنهم من كسب أرباح طائلة، في الوقت الذي يتحصل القرطاجيون على المواد الأولية كالأحجار الكريمة، الأصواف والجلود وريش النعام.[2]

أما في المجال الزراعي فلقد تعاون الطرفين في إصلاح الأراضي الزراعية في المواقع التي إستقروا بها، فأستغلو ا كل السهول الشرقية بعدما ساعدهم في ذلك العوامل الطبيعية المتمثلة في المناخ ووجود المياه بالإضافة إلى الإهتمام بها الجانب بعد المنافسة الموجودة في المجال التجاري بين قرطاجة والإغريق ثم الرومان، وكذا تحكمها في الأرض بطرق متطورة عن طريق علماءها في الزراعة خاصة "ماغون".

العلاقات السياسية: تميز العلاقات السياسية بين الطرفين بالسلم منذ تأسيس قرطاجة، لكن مع مرور الوقت بدأت تتدهور نوعا ما، خاصة بعد معركة هميرا سنة480 ق.م، أين تنكرت قرطاجة للضريبة السنوية التي كانت تدفعها للسكان المحليين، وكدا السياسة التوسعية التي تبنتها قرطاجة فيما بعد، لكن مع بروز الرومان في الحوض الغربي للمتوسط و ظهور المماليك الوطنية، قامت قرطاجة بمراجعة

1- Gsell. (S), op cit, T4,op cit, p. 373.
2- Basset. (R), les influences punique chez les Berbères, R.Af. N°308-309,3éme et 4éme Trimester. 1921, p. 6.

مواقفها وسياستها تجاه النوميديين وحاول التقرب منهم من أجل كسبهم كطرف مساعد في أي حرب، ويتبين ذلك فيما تقوية هذه العلاقات عن طريق المصاهرة.[1]

لقد عملت قرطاجة على التقرب من صفاكس دون إعتبار الخلاف القائم بين هذا الأخير وبين الملك ماسينيسا، وإستغل صفاكس هذا الموقف وفرض نفسه على الموانئ التابعة لقرطاجة في مملكته، في نفس الوقت الذي حافظ على علاقاته مع الرومان.

العلاقات العسكرية: أدرك القرطاجيون أنفسهم أنهم بحاجة ماسة للدعم باليد العاملة في النشط التجاري في المرحلة الأولى ثم الجانب الزراعي، لكن مع مرور الوقت وبروز الصراع العسكري تقرب القرطجيون من النومديين وكونوا معهم تحالفات عسكرية لخوض الحروب المشتركة حول مناطق النشاط التجاري ويرجع الإعتماد على العنصر النوميدي إلى عدة أسباب:

– القوة البدينة التي تمتع بها النوميديون منذ الصغر وفقا لما تذكره المصادر التاريخية كهيرودوت.[2]

– حاجة قرطاجة للدعم البشري في بناء السفن الحربية و المواجهات العسكرية، ولقد تبنت سياستها على مجموعة من المعايير المتمثلة في:

الحلفاء: وهم من القبائل والانراء الذين تحالفوا مع قرطاجة مثل الملك إلماس الذي ساعد القرطاجيين أثناء غزو أغاتوكليس للسواحل الإفريقية.

المجندون و المرتزقة: هم الجنود الذين يتم تجنيدهم في بداية الحرب و تسريحهم بعد نهايتها مقابل أجور معينة، والمعروف أن قرطاجة إعتمدت على هذا النوع من التجنيد نظرا للقوة التي كان يتمتع بها هؤلاء بالإضافة إلى قلة العنصر البشري القرطاجي.

ولقد تجسدت هذه العلاقات العسكرية خلال الحروب الصقلية التي خاضها القرطاجيون ضد الإغريق، ثم ضد الرومان خلال الحروب البونيقية الثلاثة.

1– فتيحة فرحاتي: نوميديا من حكم الملك قايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213–46 ق.م، منشورات أبيك، الجزائر ، 2007، ص61.

2- Hérodote, Histoires, Tard et établi par P.H.E, éd les belleslettres, paris, 1948 .IV.

العلاقات الإجتماعية: تعتمد العلاقات القرطاجية النوميدية على رابط الدم المشترك بين الطرفين من خلال الزواج المختلط والذي مازالت تحتفظ به أغلب المصادر التاريخية، خاصة مع طبيعة القرطاجيين المنفتحين من خلال المعاملات والإحتكاك بالأخرين، ولعل أسطورة تأسيس قرطاجة وطلب الملك اللبي هيرباص الزواج من عليسة دليل على هذا الإنفتاح رغم رفض هذه الأخيرة، لكن في القرن الثالث قبل الميلاد تتضح الأمور بشكل كبير بعد زواج سوفونيسبة من الملك صفاكس رغم خطوبتها من طرف ماسينيسا وهذا راجع للتطورات السياسة التي حدثت في تلك الفترة.[1]

إمتد هذا الزواج ليشمل كل الفئات الإجتماعية بدليل وجود نفس الأسماء القرطاجية في نوميديا وكذلك نفس العادات والتقاليد، مثل المدن الكبرى كسيرتا و دوقا وتيديس ومكثر وميلة والعديد من المدن الأخرى.[2]

العلاقات الدينية: لعب الدور الديني مكانة مهمة في الحضارة القرطاجية وإرتبطت بها العديد من الألهة والممارسات والطقوس الجنائزية، حيث عبد القرطاجيون العديد من الألهة المحلية والخارجية كالمصرية والإغريقية، لكن وإبتدءا من القرن الخامس قبل الميلاد إندمجت الديانة القرطاجة بالديانة الليبية (النوميدية فيما بعد)، وأصبح الطرفين يعبودون ألهة مشتركة سميت فيما بعد بآلهة الخصب البونية مثل: بعل حمون إله الخصب والزراعة والذي يعتبر من أشهر الآلهة البونية التي ذكرت فيما المصادر التاريخية والتي حيت بإهتمام كبير من سكان المنطقة، وهو غمتزاج بين الغله القرطاجي بعل مع الإله المحلي النوميدي أمون، وله عدة تماثيل و صور على شكل رجل كثير اللحية جالس على العرش يرفع يديه ليبارك المتعبدين.[3]

1- Tite live ,XX ,12,29.
2- Ibid, XXIX, 4,5.
3- بوروينة الشادلي، قرطاجة البونية، تاريخ وحضارة، الإسكندرية، 1999، ص 277.

الحروب المتوسطية

1- الصراع الإغريقي القرطاجي:

شهد القرن السادس قبل الميلاد خروج قرطاجة من العزلة التي كانت تعاني منها في شمال إفريقيا وأصبح تبحث عن مناطق توسع ونفوذ جنوب شبه الجزية الإيطالية، وهذا الأمر لن يكون سهلا بحكم المنافسة الإغريقية التي كانت بدور تتوسع في المنطقة الأمر الذي اجبر قرطاجة على التحالف مع الإتروسكيين والليبيين لمواجهة منافسيهم، وهذا ما كان بالفعل حيث تمكنت من الإنتصار في معركة الأليا بجزيرة كورسيكا سنة535 قبل الميلاد.[1]

إستغل القرطاجيون فرصة إنشغال الإغريق بالحروب الميدية، فقرروا إعلان الحرب حيث أبحر الجيش القرطاجي بقيادة القائد هملقار على رأس جيش يقدر بعشرين ألف جندي، وهو تقريبا نفس حجم الجيش الإغريقي. وقد دارت بين الطرفين ما يسمى بمعركة هيميرا سنة 480 قبل الميلاد والتي إنتصر فيها الإغريق مع حلفائهم. ويرجع السبب الرئيسي لهذه المواجهة هو تدخل القرطاجيين لمساعدة (تيريلوس) حاكم مدينة هميرا ضد (جيلون) طاغية سراقوسة و(تيرون) طاغية أقريقنتة اللذان أرادا السيطرة على مضيق ميسنا الممر الحيوي للسفن التجارية، ولقد حاولت قرطاجة استغلال الفرصة من أجل السيطرة على المضيق ليفتح لها المجال نحو السواحل الشرقية للجزيرة الإيطالية.[2]

ترتب عن هذه المعركة إنهزام قرطاجة وانفصال قرطاجة عن مدينة صور التي تعتبر الوطن الأم.

- التنكر للضريبة السنوية التي كانت تدفعها للسكان الأصليين.
- التوسع على حساب أراضي جيرانها في بلاد المغرب.

1- الشادلي بورويبة، المرجع السابق، ص195.

2- Hérodote ,VII,165,167

- القيام برحلات إستكشافية بحثا عن أراضي وأسواق جديدة مثل رحلة هاميلكان نحو سواحل إسبانيا وفرسا وصولا إلى جنوب بريطانيا، ورحلة حانون نحو السواحل الإفريقية.[1]

بعد هذه المرحلة ظلت العلاقات متوترة بين الطرفين لكن دون مواجهة حاسمة إلى غاية وصول أغاتوكليس إلى الحكم في سراقوسة سنة 317 قبل الميلاد وإعلانه الحرب ضد قرطاجة التي سيطرت على صقلية، ما دفع بهذا الأخير إلى نقل الحرب إلى إفريقيا التي نزل بها سنة 310 قبل الميلاد بجيش يقدر ب 14000 جندي و توجه نحو قرطاجة التي لم تكن مستعدة لذلك، خاصة بعد الاستيلاء على اغلب المدن المهمة كحضرموت، هيبوت، تابسوس أوتيكا، لما قرر العودة إلى صقلية تمكن القرطاجيون من هزيمة الجيوش التي تركها في إفريقيا تحت قيادة إبنه أرخاقاتوس، ورغم محاولته استرجاع ما خسره إبنه إلا انه أجبر على عقد معاهدة سلام سنة 305 ق.م، احتفظت قرطاجة بموجبها بكل ممتلكاتها في إفريقيا وصقليا، بينما حصل هو على مكافئة كتعويض للمناطق التي سيتنازل عنها.[2]

في حدود سنة 289 قبل الميلاد توفي أغاتوكليس وإستغلت قرطاجة الفرصة في إحتلال العديد من المناطق خاصة لياري والجزر الأيولية، وتقدمت نحو منطقة مسينا، لكن ظهر الملك هيرون في سراقوس الذي وضع حد للفوضى الداخلية وهزم المامرتيين، وعندما حاول التقدم نحو مسينا سبقه القرطاجيين بوضع حامية على المنطقة في حدود سنة 268 قبل الميلاد، الأمر الذي وضعهم مجها لوجه أمام الخصم الجديد في المنطقة وهم الرومان الذين أكملوا السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية ووصلوا إلى أقصى نقطة في الجنوب وهي الرجيوم.[3]

1- حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص53.

2- المرجع نفسه، ص55-56.

3- المرجع نفسه، ص 56

2- الصراع القرطاجي - الروماني:

- الحرب البونية الأولى(264-241ق.م):

كان للصراع القرطاجي الإغريقي أهمية بالغة بالنسبة للطرف الروماني الذي تمكن من فتح شبه الجزيرة الإيطالية وتوحيدها، وأصبحت بذلك روما منافسة لقرطاجة في المنطقة، هذه الأخيرة التي تحالفت مع المامرتيين الذين كانوا في صراع دائم مع الملك "هيرون"، لكن عدم تمكن المامرتيين من ممارسة سياسة السلب والنهب و حرية التنقل في المناطق التي كانت تحت سيطرتهم، دفعهم لإرسال بعثة إلى روما سنة 264 قبل الميلاد للتحالف معها، الأمر الذي تقبل الرومان وهو السبب الرئيسي لإندلا ع الحرب البونية الأولى.[1]

كان للقنصل أبيوس كلاوديوس الذي يمثل العائلات النبيلة والتي بدورها شكلت فئة أرستقراطية دورا بارزا في توجيه السياسة الخارجية الرومانية، بحج أن وجود القرطاجيين في صقليا يهدد كل أمن إيطاليا، رغم أن المصالح التجارية هي سبب رئيسي لذلك، لهذا قرر القنصل أبيوس نقل الجيوش الرومانية لمنطقة الرجيوم وعبورها مضيق مسينا، ما مكنه من الاستيلاء على المدينة بمساعدة المامرتيين، بعدما فر القائد القرطاجي "حنون" من المدينة ما كلفه حياته، أما الرومان فاحتلوا المنطقة لكن سرعان ما حوصروا من طرف بعض الفيالق القرطاجية و"هيرون" ملك سراكوزة، لكن هذا الأخير نقض التحالف مع القرطاجيين وتحالف مع الرومان لكي يتجنب سقوط مدينته في يدهم.[2]

بعد هذا التحالف تراجع القرطاجيون إلى غرب الجزيرة، ما مكن الرومان من الإستيلاء على مدينة أقريقنتة سنة261 قبل الميلاد، هذا النجاح أجبر الرومان على إنشاء أسطول بحري يمكنهم من تحقيق تقدم في المناطق الأخرى، وبالفعل صنعوا مئة سفينة خماسية وعشرين سفينة ثلاثية وفق النماذج القرطاجية، زودها بجسور الإصطدام حتى يحولوا المعارك البحرية إلى معارك برية. بإنشاء الرومان للأسطول البحري تدخل الحرب مرحلة جديدة سنة260 قبل الميلاد تميزت بتفوق الرومان، إذ تمكن

1- محمد الهادي حارش، المرجع السابق .ص56.

2- فرانسوا دوكري، قرطاجة الحضارة والتاريخ،ترجمة.م. شلب الشام، دمشق، 1994، ص132.

القنصل كايوس دوليوس من إلحاق الهزيمة بالجيوش القرطاجية في معركة مليس سنة 260 قبل الميلاد، ثم محاصرة "ألاريا" في كورسيكا و"ألبيا" في سردينيا. بعد هذا الإنتصار توجه ريغولوس نحو السواحل الإفريقية سنة 256 قبل الميلاد وتوجه نحو قرطاجة التي اختارت التفاوض، لكن الشروط القاسية التي فرضها الرومان أجبرت القرطاجيين على التراجع و الدفاع عن مدينتهم، ما مكنهم من الإنتصار على جيوش ريغولوس الذي وقع أسيرا، ضف إلى ذلك تحطم الأسطول الروماني الذي أرسل لإجلاء ما تبقى من جنود ريغولوس بعد تعرضه لعاصفة بحرية.[1]

كانت الأعوام الثلاثة عشر التي تلت هذه الهزيمة أطول و أقسى السنوات لروما نتيجة الهزائم المتتالية لأغلب القادة الذين عينوا لقيادة الجيوش، وفي سنة 253 قبل الميلاد حطمت العاصفة الأسطول الروماني في سواحل لوكانيا أثناء العودة من عملية نهب السواحل الإفريقية، وفي سنة 250 قبل الميلاد ترجعت السيطرة الرومانية على كل من منطقتي ليليبايوم وطرابلس رغم الأسطول المكون من 150 سفينة، وإزدادت الأمور سوءا بعد هزيمة الرومان من طرف القائدين القرطاجيين "هزربعل" و"قرتلون" سنة 249 قبل الميلاد.[2]

بدلا من إستغلال هذا الإنتصار أقدم القرطاجيون على التوسع في إفريقيا، مما مكن الرومان من إعادة بناء قوتهم، حيث ورغم تعيين القائد هملكار برقة لقيادة الجيوش القرطاجية سنة 245 قبل الميلاد، وكل المواجهات التي خاضها ضد الرومان إلا أنه لم يحقق نتيجة حاسمة بل بالعكس إنهزم مع الجيوش القرطاجية في معركة جزر إيغاتيس سنة 241 قبل الميلاد وأجبر على عقد المعاهدة مع الرومان والتي تنص على ما يلي:

- تتخلى قرطاجة عن كامل صقليا.
- تتنازل عن كل الجزر لواقعة بينها و بين إيطاليا
- دفع غرامة مالية حربية قدرها 3200 وزنة أوبية موزعة على عشرة سنوات.

1- حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص59.

2- المرجع نفسه، ص60.

– منع قرطاجة من تجنيد المرتزقة في إيطاليا وحلفاء روما.

2– ثورة الجند المرتزقة:

بعد نهاية مفاوضات الحرب البونية الأولى، قام هملكار برقة بنقل الجيوش القرطاجية إلى منطقة ليلبي، بعدها ترك جسكون (Giscon) لقيادتها مع مهمة نقلها إلى إفريقيا، وكان جسكون خائفا مما سيحدث إذا أرسلها دفعة واحدة، لذا قام بتقسيمهم إلى جماعات وإرسالها بالتفاوت حتى تستطيع قرطاجة دفع مستحقاتهم ثم إرسالهم إلى وطنهم الأصلي، لكن نفقات الحرب التي أفرغت الخزينة القرطاجية تقريبا، وإنعدام الأموال لم يتم تسريح أي جندي ما جعل مدينة قرطاجة تكتض بهم، وبما أن هؤلاء المرتزقة متشبعين بروح الحرب ارتكبوا عدة تجاوزات على سكان قرطاجة ليلا ونهارا، لذا أصدر مجلس الشيوخ القرطاجي قرارا ينص على نقل كل المرتزقة إلى سيكا (Sicca) في إنتظار وصول زملائهم لدفع كل مستحقاتهم.[1]

كانت حياة هؤلاء المرتزقة سيئة في سيكا، فآخذوا يتحدثون بينهم عما يجب القيام به،[2] لما وصل جميع المرتزقة إلى سيكا والمقدر عددهم بعشرين ألف جندي، أرسلت قرطاجة القائد حنون (Hannon) لمحادثتهم، وعوض أن يكلمهم عن أحوالهم ومستحقاتهم راح يحدثهم عن الغرامة المالية التي فرضتها روما على قرطاجة بعد الحرب البونية الأولى، ثم طلب منهم التنازل عن قسم من أموالهم التي وعدتهم قرطاجة من قبل.[3]

إن تجاهل مستحقات هؤلاء المرتزقة أدى إلى حدوث إضطرابات بينهم،[4] لان المرتزقة لا يفهمون ما يقوله حنون لهم، ما جعلهم يعتقدون أن قرطاجة فعلتها عمدا، خاصة عدم إرسالها القادة الذين أشرفوا عليهم أثناء الحرب للتفاوض في صقليا وأعطوا لهم الوعود.[5]

1- De la Malle,D., Afrique ancienne ,Carthage,Numidie et .Mauritanie,T2.Paris. 1844 Mauritanie,T2.Paris. 1844.p65.

2- قزال، س، المرجع السابق، ص.94.

3- المرجع نفسه، ص.95.

4- المرجع نفسه، ص.95

5- Polybe, I, 2,67.

أمام هذه الأوضاع رفض هؤلاء المرتزقة التفاوض مع حنون وفي نفس الوقت بدؤا يشككون في قادتهم الذين أهملهم، لذلك قرروا الزحف نحو العاصمة عسكروا قرب قرطاجة.[1]

عندما رأى القرطاجيون ضخامة هذا التمرد الذي أصبح يهددهم حاولوا تهدءته عن طريق تنظيم أسواق خاصة بهؤلاء المرتزقة لتمويلهم بالسلع على أن تكون الأسعار فيها مما يستطيعون دفعها، لكن بعد ذلك طلب المرتزقة بتعويض خيولهم التي قتلت أثناء العمليات الحربية في صقليا، رغم أن هذه الخيول كانت تتلقها من قرطاجة، وما زاد الأوضاع سوءا هو إضافة المرتزقة لمطالب جديدة تتمثل في دفع جرايات من القمح بأسعار عالية[2]

دفعت هذه المطالب الجديدة قرطاجة إلى تعيين قائد أخر للتفاوض مع المرتزقة شرط أن يكون هذا القائد شارك خلال الحرب في صقليا، و بما أن هملكار مشكوكا فيه كوّنه إستقال من قيادة الجيش بإرادته ولم يأتي إلى معسكر المرتزقة للتفاوض معهم، تم تعيين القائد جسكون هذا القائد الذي شارك مع هؤلاء المرتزقة في عدة عمليات حربية في صقليا،كما أشرف بعناية على عملية نقلهم إلى إفريقيا لذلك إختاره مجلس الشيوخ القرطاجي حاكما.[3]

وصل جسكون الى قرطاجة أخذا معه المال، و بدأ يتحدث مع المرتزقة ثم جمع الجنود كل حسب وطنه و شرع في توزيع رواتبهم المتأخرة[4]. يوجد بين المرتزقة عبد من كامبانيا (Companie) يدعى سبانديوس (Spendios) هذا الأخير كان عبيدا عند الرومان خشي أن يقع في يد سيده ويسلم للعذاب كما يقضي القانون الروماني، ففر منه و ألتحق بالمرتزقة،و كان سبانديوس ذو بنية جسدية قوية وكبيرة وشجاعة عجيبة.[5]

يوجد إلى جانب سبانديوس قائد إفريقي يدعى ماثوس (Mathos) هذا الأخير خشي الإقاع به، فأشترك مع سبانديوس لإعاقة التفاوض،لذلك خاطب رفاقه بأن قرطاجة ستثأر منهم

1- Polybe, I,2,67.

2- دوكري، ف. 1994 ،ص.146.

3- Gaid,M.,Les bérbères dans l'histoire,de la préhistoire a la kahina,T1,Alger,1990,p.69.

4- Polybe, I,2,67.

5- Ibid.

عندما يعود المرتزقة الأخرون إلى وطنهم، هذا ما أثار غضبا شديدا خاصة بعد طلب الليبيين بجراياتهم من القمح بصيغة إجبارية،فرد عليهم جسكون بأن يطلوبها من قادتهم، فأغضبهم ذلك وأرتموا على الأموال ثم ألقوا القبض على جسكون وأصحابه، بعد إقتناع ماثوس وسبانديوس بأن هذه الأعمال ستجعل القطيعة مع قرطاجة محتمة، لذلك قاموا بمعاملة جسكون وأصحابه معاملة سيئة.[1]

3- مراحل ثورة المرتزقة:

أرسل ماثوس عدد من الوفود إلى المدن الإفريقية يطلب منها المساعدة و التحرر من السيطرة القرطاجية، وبالفعل تحصل المرتزقة على ما يريدون،[2] وكونوا جبهة موحدة ضد قرطاجة،[3] يظهر ذلك في ما يذكره بوليب: "لقد وقف كل السكان الإفريقيين تقريبا إلى جانب المرتزقة وأنضموا إلى الثورة في وجه قرطاجة وسارعوا إلى تزويد المرتزقة بالمؤونة والدعم".[4]

كون المرتزقة جيش يقدر بسبعين ألف جندي، وإنقسموا إلى قسمين حيث حاصر القسم الأول أوتيكا (Utique) أما القسم الثاني حاصر هيبو (Hippone)، هتان المدينتين اللتان بقيتا وفيتان لقرطاجة،[5] وبما أن القرطاجيين يريدون إصلاح أحوالهم بعد الحرب الطويلة التي كانت نهايتها سيئة، ها هم الآن مجبرين على الدفاع عن وطنهم والأرياف المجاورة التي يحصلون منها على المنتوجات الزراعية،خاصة عدم وجود أي احتياط من الطعام وكذا أي حليف.[6]

أمام هذه الأوضاع قررت قرطاجة تعيين القائد حنون الذي جمع بعض المرتزقة وجند المواطنين القادرين على حمل السلاح ثم كوّن بينهم فيالق للخيالة، حيث جاء مباشرة لنجدة أوتيكا.[7]

1- قزال، س.، المرجع السابق ، ص.97.

2- De la malle,D.,op cit ,p.68.

3-بورويبة،ش.، قرطاجة البونية، تاريخ وحضارة، الإسكندرية، 1999. ص.210.

4- Gabriel,C op cit,p.44.

1- Ernest,M.,1888,Histoire de l'Afrique septentrional(Bérbérie) depuis les temps les plus réculés jusqu'à la conquéte française(1830),Paris, p.23 .

6 – قزال، س.، المرجع السابق، ص.99.

7- Polybe,I,2,74.

دخل حنون أوتيكا ليستريح بعدما ظن أنه إنتصر كوّنه متعوّد على محاربة النوميديين والأفارقة المتعودين هم أيضا على الفرار أثناء الخسارة لمدة يومين أو ثلاثة، لكن هذه المرة حدث العكس لأن هؤلاء المرتزقة تعودو على حرب الكر والفر مع قائدهم هملكار خلال الحرب البونية الأولى، لذلك عندما رأو جنود حنون متفرقين حول أوتيكا، رجعوا مباشرة إلى المعركة وقاموا بالهجوم عليهم و قتلوا العديد منهم، كما أرغموا الجنود القرطاجيين الأخرين على الفرار بعدما إستولوا على جميع المعدات التي أخذها حنون معه.[1]

بعد هذا الإخفاق قامت قرطاجة بتعيين القائد هملكار برقة[2]، وإتجه نحو نهر مجردة (Bagrada) الذي تمكن من عبوره ليلا رغم الصعوبات التي وجهها.[3]

لما علم سبانديوس بهذا العبور تقدم بجيشه نحو النهر لكن هملكار تمكن من الإنتصار عليه

والإستيلاء على جسر مجرادة، حيث تابع الحملة بدءا في إخضاع المستسلمين والإستيلاء بالقوة على الأماكن المحصنة.[4] وحين كان ماثوس يحاصر هيبو، طلب من سبانديوس وأوتاريت (Autarit) قائد الغاليين(Gaulois) أن يتبعا حركات هملكار دون مهاجمته، نظرا لكثرة عدد فيله وفرسانه.[5]

كان بين النوميديين شخص يدعى نارافاس الذي كان لأجداده علاقات طيبة مع قرطاجة، لذلك ذهب إلى هملكار وطلب منه تقديم المساعدة، فقبل هملكار العرض كما وعده.[6]

إنضم سبانديوس إلى الإفريقيين وهاجموا هملكار الذي انتصر عليهم، مما دفع أوتاريت وسبانديوس للفرار، وقُتل عشرة ألاف وأسر أربعة ألاف من المرتزقة، بعدها ترك الحرية لبعض الأسرى الراغبين في العمل معه في الجيش وأعطى الحرية للأخرين شرط عدم عودتهم للحرب ضد قرطاجة.[7]

1- Polybe,I,2,74.

2- Talbot,E.,Histoire romaine,Paris.1875., p.87.

3- قزال (س)، المرجع السابق ، ص.101.

4- المرجع نفسه، ص.102.

5- المرجع نفسه.

6- Polybe,I,2,78.

7- قزال،س.،المرجع السابق،ص.103.

فهم القادة ماثوس وسباندیوس أن هدف هملكار من عمله هذا هو تحطيم نفوذهم وكذا تهديد ترابط فرقهم[1]، لذلك قرروا تعذيب و قتل جسكون مع سبعة مئة أسيرا.[2]

أثارت هذه المجزرة سخط كبير في قرطاجة، لذلك طلب مجلس الشيوخ من هملكار وحنون توحيد قواهما للإنتقام، فأمر هملكار بإعدام جميع الأسرى المرتزقة وكذا سحق الأسرى الذين يقبض عليهم لاحقا تحت أقدام الفيلة، لكن إختلاف وجهات النظر بين هذين القائدين أدت إلى الهزيمة، ما دفع المرتزقة إلى تحقيق التقدم[3]، بعدها أعطى مجلس الشيوخ القرطاجي الحرية للجيش في إختيار قائدهم، فوقع الإختيار على هملكار الذي بدأ يستولي على المؤن التي تبعث إلى أوتيكا وهيبو اللتان أنضمتا إلى المرتزقة، خاصة و أن سكان هيبو قتلوا خمسمئة رجل قرطاجي بُعثوا لنجدتهم.[4]

بعد وقت قصير تمكن هملكار من الإستيلاء على عدة مواقع، و تمكن من الإحاطة بجيش المرتزقة من كل الجهات، هؤلاء الذين لم يستطيعوا حتى الفرار بسبب الخنادق والتحصينات.[5] الأمر الذي دفعهم للتفاوض مع هملكار، فأشترط عليهم أن يختار القرطاجيون عشرة من بين المرتزقة كرهائن، أما الأخرون فيمكنهم الذهاب بدون سلاح ولا لباس.[6]

قبِل قادة المرتزقة شروط التفاوض، فأختار هملكار عشرة أشخاص كرهائن، بينهم سباندیوس وأوتاريت، بعد هذا الإنتصار إستطاع حنبعل و نارافاس الجوّل في أنحاء المقاطعة البونية مع خضوع عدد كبير من الليبيين ثم زحفوا لمحاصرة ماثوس وجيشه، فعسكر حنبعل بالجهة الموالية لقرطاجة أما هملكار بالجهة المقابلة وجيء بسباندیوس والسجناء الأخرين وصلبوا أمام الأسوار وعلى مرأى رفاقهم.[7] ولاحظ ماثوس حنبعل وجيشه يجولون مطمئنين فقام بمهاجمتهم، حيث قتل عدد كبير

1- دوكري،ف.، قرطاجة أو امبراطورية البحر، ترجمة أحمد عزو عزالدين، الطبعة الأولى، دمشق، 1996، ص.174.

2- Ernest,M.,op cit,p.23.

3- دوكري،ف.،المرجع السابق، ص.175.

4- Gaid,M.,op cit ,p.72.

5- Polybe,I,2,84-85.

6- Duruy,V.,*Histoire romaine jusqu'à l' invasion des barbares*,paris,1855,p.118.

7- قزال،س.،المرجع السابق ، ص.110.

من جنوده وأستولى على أمتعتهم ثم ألقى القبض على حنبعل وأُخذه إلى المكان الذي صلب فيه سباندیوس وقام بتعذيبه، كما ذبح ثلاثين من نبلاء قرطاجة حول جثة سباندیوس.[1]

بعد هذه الحادثة قرر كلا الطرفين خوض معركة فاصلة، فأستدع كل طرف حلافائه وكذا كل المدن التي كانت فيها حاميات أحد الطرفين[2]، بعدها تم الإستعداد للمعركة الفاصلة التي إلتقى فيها الطرفين وجها لوجه و أعطيت إشارة إنطلاق المعركة التي سيطر فيها القرطاجيين بشكل كبير، أما المرتزقة فلقد قتل معظمهم أثناء المعركة وإستطاع البعض الفرار واللجوء إلى المدينة والإستسلام فيما بعد، أما ماثوس فقبض عليه حيا[3]، وسُلم إلى القرطاجيين الذين قطعوه إلى أجزاء بعد عذاب أليم.[4]

– نتائج ثورة المرتزقة: أدت نهاية الثورة إلى إستسلام كل إفريقيا ما عدى مدينتي هيبو وأوتيكا اللتان وصلتا المقاومة، لذا زحف حنون وهملكار كل واحد على مدينة، وأرغمهما على الإستسلام وفق شروط تمليها قرطاجة[5]، فأنتهت بذلك الحرب التي دامت ثلاثة سنوات وأربعة أشهر مصحوبة بالقساوة تجاوزت بكثير كل ما يمكن رؤيته حتى ذلك التاريخ[6]، حيث فقدت قرطاجة عدد كبير من قادتها كجسكون وحنبعل وعدد من أعضاء مجلس الشيوخ والنبلاء، ومقتل قادة المرتزقة الذين قدموا عدة خدمات لقرطاجة خلال الحرب البونية الأولى، ضف إلى ذلك توسع قرطاجة على حساب القبائل الإفريقية التي إنضمت إلى المرتزقة .

1 - Polybe,I,2,86.

2- قزال،س.،المرجع السابق،ص.111.

3- Polybe,I,2,87.

4- Talbot,E.,op cit, p.88.

5- Gaid,M.,op cit ,p.74.

6- Polybe,I,2, 88.

التوسع القرطاجي في ايبيريا

بعد قمع تمرد المرتزقة وإستمرار التوسع الروماني في سردينيا وكورسيكا، إنقسم الرأي العام داخل قرطاجة بين الخصمين المتنافسين، أل حانون وأل برقة حول الصراع ضد روما، إذ يرى حانون أن تشجيع التوسع في إفريقيا أجدى وأكثر نفعا من إعادة الصراع ضد الرومان، أما هملكار فيرى أن إعادة غزو ايبيريا والتوسع فيها يمكن أن يعوّض قرطاجة ما خسرته خلال الحرب البونية الأولى.[1]

أمام هذا الإختلاف أبحر هملكار برقة نحو إسبانيا رفقة أصحابه و إبنه حنبعل الذي بلغ تسعة سنوات، هذا الإبن الذي أخذه هملكارإلى مجمع الألهة لأداء الطقوس الدينية وتقديم الأضاحي، حيث تعهد حنبعل لأبيه أن يكون دائما عدو لروما.[2]

بمجرد نزول هملكار في إسبانيا تحارب وتفاوض مع مختلف القبائل الإيبيرية، حتى أخضع العشيرتين الكبيرتين هما التردوليون (Turdétanes) والبستوليون(Bastitani) .[3]

إنتهت هذه المرحلة إبتدءا من سنة 236 ق.م فشرع هملكار في إستغلال المناجم التي سيطر عليها في إسبانيا وفق قواعد جديدة أخذها من قرطاجة، حيث سك عملة جديدة من الفضة التي عوضت الشقلات التي كانت معه، كما بدأ يوجه شحنات من المعادن الثمينة إلى قرطاجة، التي كانت كافية لإحتياجات قرطاجة في تقويم الأجور ودفع الغرامة المالية الحربية ومساعدة الحركة الصناعية والتجارية.[4]

بعد هذه المرحلة قام هملكار بمهاجمة الديتان(Deitans)، الذين يسكنون بلاد ثرية لكنها جبلية تمتد حتى مصب نهر جوكار(Jucar)، مما تطلب أربعة سنوات لإخضاعها بين 235و 231 ق.م . أمام كل هذا النجاح يظهر أن هملكار حقق عدة إنتصارات و توسعات، لكنها غير مضمونة ما دام هنالك خطر يهددها من الداخل، لذا أخذ في الإستعداد للتوغل نحو الداخل على الساحل

1- Lancel,S. ,Carthage,France,1992, p.395 .
2- Tite-Live, X, 1.
3- Strabon, III, 2,7.
4- نورالدين كريمة، سياسة أل برقة في الحوض الغربي للبحر المتوسط، رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،2012 ، ص.58.

المتوسطي جنوب رأس لاناو (Cap La Nao)أين أنشأ قلعة أليكنت التي كان موقعها يضمن إتصالات هملكار بإفريقيا، كما أنه الموقع الأفضل ليستعمله نقطة إنطلاق من أجل الإستيلاء على الأقاليم الوسطى و الداخلية في إسبانيا.[1]

لقد أثارت هذه التوسعات مخاوف ماسيليا حيث يمنعها هملكار من الوصول إلى ثروات جنوب إسبانيا، في نفس الوقت الذي كانت غير قادرة على مواجهة أل برقة، لذلك ذهبت للبحث عن المساعدة في روما، هذه الأخيرة التي أرسلت سنة 231 ق.م بعثة إلى هملكار للوقوف على نواياه التوسعية، لكن البعثة صدقت أقوال و تفسيرات هملكار الذي قال لهم أن الغرض من كل ما يفعله هو الحصول على موارد جديدة حتى تستطيع قرطاجة دفع تعويضات الحرب البونية الأولى.[2]

في شتاء 229-228 ق.م ترك هملكار فيله ومعظم جيوشه في أليكانت، وأتجه نحو الداخل لمحاصرة مدينة إليس، لكن ملك من الأوريسيين جاء لإنقاذ هذه المدينة حيث تظاهر بالتفاوض مع هملكار، لكن سرعان ما هاجمه القرطاجيين وألحق به الهزيمة، أين مات هملكار.[3]

بعد موت هملكار عين صهره هسدربعل قئدا للجيش وأول عمل قام به هسدربعل هو الإنتقام لهملكار، لذلك جهز جيشا بلغ عدده خمسين ألف من المشاة وستة ألاف ومئتين من الفرسان ، وقام بحملة ضد القبائل الأورسيين حيث هزمهم، بعد عملية تعذيب وإنتقام لهزيمة وموت هملكار. بعدها إستولى على إثنا عشر مدينة تابعة لهذا القبائل . فأصبح بعد ذلك جميع شعوب إسبانيا الشرقية حتى نهر الإبيرو يعترفون به قائداعسكريا أعلى، نظرا لمهارته في إستخدام الوسائل السلمية في الإستيلاء على الإسبانيين ، هذا ما جعل سيطرته تأخذ نطاق واسع و يحول أعدائه السابقين إلى حلفاء.[4]

بعد هذه العمليات والإنجازات التي حققها هسدربعل قام بتأسيس عاصمة له في إسبانيا وأطلق عليها إسم قرطاجنة أو قرطاجة الجديدة في موقع أليكنتي الحالية وتقع بالساحل الجنوبي

1 قزال،س.، المرجع السابق ، ص.117.

2- نصحي،إ.، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتي عام133ق.م، مصر، 2004، ص.215.

3- قزال، س.، المرجع السابق، ص.117.

4 - Le peyre,G-G,Pellegrin,A.,Carthage punique,814-146avant J-C,Paris,1942, p.102

لإسبانيا، بالقرب من المناجم الغنية جدا بالفضة كما أقام بها هسدربعل مصانيع كبيرة للسفن، وربما دارا لسك العملة وقصرا بديعا الأمر الذي جعل أعدائه في إفريقيا يدَعون بأنه يريد أن يصبح ملكا.[1]

أمام إزدياد طموحات وتوسعات هسدربعل في إسبانيا وإنتصار روما على الغاليين سنة 226ق.م وجهت روما أنظارها نحو شبه الجزيرة الإيبرية وعقدت مع هسدربعل معاهدة الإيبرو.[2]

- **معاهدة الإيبرو 226 ق.م:** إن ميل الإيبريين إلى القرطاجيين، وعدم قدرة روما على تحديد الصراع ضد قرطاجة في ايبيريا، وخوفها من تحالف الغال مع القرطاجيين دفعها لإرسال وفد سنة 226ق.م إلى هسدربعل بهدف وضع حد للتوسع القرطاجي بإسبانيا وتنص هذه المعاهدة على: منع الجيوش البونية إجتياز نهر الإيبرو الذي يعد حدا فاصلا بين مناطق النفوذ القرطاجية والرومانية. وتعد هذه المعاهدة كإحتياط من روما حتى تتمكن من محاربة الغاليين الثائرين، الخطرين علىروما لهذا عقد هذه المعاهدة، مع ترك الحرية لمدينة ساغونتة الموجودة في الحد الفاصل بين مناطق روما وقرطاجة.[3]

إذا كان الهدف من هذه المعاهدة هو حماية ساغونتة(Sagonte) فإن هذه المدينة تقع على بعد 130كلم إلى جنوب نهر الإيبر، مما جعل جيروم كاركوبينو يفترض وجود نهرين يتشابهان في الإسم وهما نهر الإيبرو(Ebre)في الشمال ونهر الجوكار (Jucar)في الجنوب، ويفترض أن هذا النهر الأخير هو الذي فرض كحد فاصل في معاهدة الإيبرو.[4]

رغم ذلك إلا أن هسدربعل عرف كيف يثير الخصوم لروما في شبه الجزيرة الإيبرية، حيث تمكن كسب أنصار داخل مدينة ساغنتوم التي كانت حكومتها موالية لروما، و رغم كل هذه الأعمال إلا أن هسدربعل لقي حتفه سنة 221 ق.م على يد أحد الكلتيين. وبالتالي ترك زمام الأمور لمن يأتي بعده ليكمل مشروع أل برقة في إسبانيا.

1- قزال، س.، المرجع السابق ، ص.118.

2 - الصفدي،هـ.،.تاريخ الرومان، ج1، بيروت، 1967، ص.161.

3- De la malle,D.,op cit , p.78.

4- نورالدين كريمة.، المرجع السابق ، ص.69.

حنبعل والحرب البونية الثانية:

بمقتل هسدربعل، قام الجيش بتعيين حنبعل قائدا دون إنتظار رأي مجلس الشيوخ القرطاجي، ولقد تابع حنبعل عملية التوسع حيث قام سنة 221ق.م بالسيطرة على أراضي الألكاديين و فرض عليهم غرامة مالية، وفي سنة 220 ق.م زحف على الفاكسيين وإستولى على مدينة سلامنقة، ويقول بوليبيوس: أنه لم يجرؤ أحد فيما بعد نهر الإيبرو على النظر إلى حنبعل وجها لوجه بإستثناء الساغنتيين.[1]

إحتلال ساغونته عام 218ق.م:

تقع مدينة ساغونتة* جنوب نهرالإيبرو أي بين هذا النهر و مدينة قرطاجنة، وإذا كانت هذه المدينة حليفة لروما بناءا على ما تشير إليه النصوص التاريخية، إلا أننا لا ندري متى أقيم هذا التحالف خاصة ومن المعروف أن روما بعثت سفارتين إلى روما إحدهما سنة 231ق.م،[2] وهدفها الوقوف على نوايا هملكار، لكن هذه البعثة صدقت تفسيرات هملكار بأنه ليس له هدف أخر سوى الحصول على موارد جديدة حتى تستطيع قرطاجة دفع التعويضات والغرامات التي فرضتها عليها روما. أما الثانية فكانت سنة 226 ق.م أرسلها مجلس السناتو إلى هسدربعل، خليفة هملكار وعقدت معه معاهدة منعت عليه تخطي نهر الإيبرو شمالا لكنها سمحت له بالتوسع في المناطق الجنوبية لهذا النهر.[3]

إنقسم سكان مدينة ساغونتة إلى فئتين، فئة موالية لروما وأخرى لقرطاجة، وكان الإتفاق بين هسدربعل و بعثة مجلس الشيوخ قد جعلت نهر الإيبرو الحد الفاصل بين مناطق نفوذهم، فبالتالي قرطاجة لها الحق في السيطرة على ساغنتوم بما أنها تقع جنوب هذا النهر وفي منطقة نفوذها.[4]

1- Polybe, III, 1,14.

*مدينة ساغونتة:تعرف اليوم بإسم مورفيدو شمال نهر سكرو و جنوب نهر الإيبرو.أنظر:العسلي،ب. ،حنبعل القرطاجي،247-183ق.م، بيروت، 1980، ص.62.

2- نورالدين كريمة، المرجع السابق، ص.72.

3-نصحي إبراهيم، المرجع السابق، ص، 215.

4- العسلي، ب، المرجع السابق، ص.62.

أخذ الخلاف يحتدم بين فئتي السكان داخل مدينة ساغونتة، مما دفع روما للتدخل في السياسة الداخلية وساعدت في إسناد الحكم إلى فئة مناهضة لقرطاجة، وأخذو يلحقون الأذى بأنصارها، هذا ما دفع حنبعل للتدخل و يأمر حلفاء روما بالتوقف عن ما يفعلونه، لكن رفضهم ذلك دفع حنبعل إلى حصارهذه المدينة في أواخر عام 219 ق.م.[1]

كانت ساغونتة ترسل إلى روما سفراء لكسب ودهم وإخبارهم بالتوسعات القرطاجية في إسبانيا، لكن روما التي لم ترد على بعاثتهم من قبل، لكن هذه المرة أرسلت وفدا للتحقيق فيما يحدث، في نفس الوقت الذي أخذ حنبعل يستعيد لأخذ معسكره الشتوي في قرطاجنة التي تعتبر عاصمة له في إسبانيا، ولقد إختلف المؤرخون حول مكان إستقبال حنبعل للوفد الروماني، إذ يرى تيت ليف أن حنبعل لم يستقبل الوفد، عكس بوليبيوس الذي يرى أن حنبعل وجد الوفد في قرطاجنة وإستمع إلى مطالبهم ،هؤلاء الذين نبهه بعدم الإستيلاء على ساغنتوم، التي وضعت تحت الحماية الرومانية وفقا للإتفاق الذي أقامه مع هسدربعل،[2] لكن حنبعل رد عليهم بالعنف بأنه سوف ينتقم لأنصاره الذين وقع عليهم الظلم داخل المدينة.[3]

مهما يكن فروما ربما اخطات لأن معاهدة الإبيرو لم تذكر ساغنتوم كحليفة لها، نظرا لوجودها جنوب نهرالإبيرو، وما دام أن هسدربعل تعهد بعدم تجاوز هذا النهر شمالا فهذا يعني السماح له بالتوسع جنوبا، لذلك كان لحنبعل الحق في الإستيلاء عليها، حيث أقام حولها حصارا دام ثمانية أشهر قبل الإستيلاء عليها نظرا لوقوعها على مرتفع وعر من جهة وأسوارها المتينة من جهة أخرى.[4]

كان لسقوط ساغنتوم أثر كلبر في روما، حيث إنقسم مجلس الشيوخ إلى قسمين، القسم الأول بزعامة الإمليين (Aimillies) والسكيبيونين (Scipions) الذين أمرو بإعلان الحرب مباشرة، أما القسم الثاني بزعامة فابيوس ماكسيموس (Fabius Maximus) الذي نادى بضرورة إنتهاج

1- العسلي. ب، المرجع السابق، ص.63.

2- Polybe,III,1,15

3- قزال،س.، المرجع السابق، ص.121.

4-الصفدي هشام، تاريخ الرومان، ج1، بيروت، 1967، ص، 161.

السياسة السلمية بإرسال بعثة إلى قرطاجة[1]، وهذا ما كان بالفعل حيث أرسلت روما سفارة إلى قرطاجة لمعرفة إن كان حنبعل إحتل هذه مدينة ساغنتوم بإسم قرطاجة.[2]

بعد وصول الوفد إلى قرطاجة سنة 218 ق.م، طلب أعضاءه من مجلس الشيوخ القرطاجي معاقبة حنبعل لمخالفته إتفاقيتي 241 و226 ق.م، لكن مجلس الشيوخ رفض طلب روما، لأن إسم مدينة ساغونتة غير وارد في إتفاق 241ق.م كحليفة لروما. كما أن هذه المدينة تقع على بعد مئة ميل جنوب نهر الإبيرو لهذا فليس من حق روما التدخل في هذا النزاع.[3]

لكن هذا لم يمنع من وقوع خلاف داخل مجلس الشيوخ القرطاجيين بين مؤيد ومعارض لمطالب روما ويظهر ذلك في خطاب حنون :" أي رجل يرغب في الحكم، هناك طريق واحد يمكن أن يوصله إلى ذلك، وهو زرع حرب فوق حرب والعيش دائما محاصرا بالسلاح والجيوش. لقد جاءكم وفد لطلب الرضا حسب المعاهدة، ولا يدين كل الأمة بل يطالب برجل واحد، إذن رأيي هو إرسال وفد إلى روما لإرضاء مجلس السناتو، ووفد أخر إلى حنبعل ليطلب منه تسليم نفسه لروما، ووفد ثالث يكلف بإرجاع كل ما أخذه حنبعل للساغنتوميين.[4]

رغم معارضة حانون لكل أعمال حنبعل إلا أن مجلس الشيوخ القرطاجي لم يوافق على رأيه وعلى مطالب السفارة الرومانية، لذلك قام كوينتوس فابيوس وهو أكبر أعضاء السفارة الرومانية سنا، فأمسك بثوبه وقال: لقد جأتكم بالسلم والحرب، فأختارو ما يجب أن أتركه لكم. وأجابه رئيس مجلس الشيوخ القرطاجي: أختر أنت فأعلن فابيوس أنه يترك الحرب، فصاح كل أعضاء مجلس الشيوخ القرطاجي أنهم يقبلون أيضا الحرب.[5]

كل هذه الأوضاع دفعت قرطاجة إلى تجديد الصراع مع روما بعدما توفرت لديها الظروف اللازمة، وإتخذت من مسألة ساغونتة السبب المباشر في قيام الحرب البونية الثانية، رغم أنه في الحقيقة

1- Combet Férnoux, B. Les guerres puniques, paris, 1960, p.71.

2- Tite-Live, XXI, 18.

3- العسلي،ب.، المرجع السابق، ص.63.

4- Tite-Live, XXI, 10.

5- Florus., Abrégé du l'Histoire romaine, 6, trad, Julle, pierrot, Paris, 1865, II...

هنالك أسباب أخرى تتمثل: أولا في حقد هملكار برقة على روما منذ أن أرغمته على تسليم صقلية، لذلك كرس بقية حياته للإنتقام منها وأورث هذا الحقد لمن جاؤو بعده، ثانيا غضب قرطاجة على روما لسطوها على سردينيا وكورسيكا ثم فرض غرامة مالية أخرى عليها وتهديدها بالحرب، ثالثا النجاح الذي حققه أل برقة في إسبانيا.[1]

الإستعدادات للحملة على إيطاليا 219–218 ق. م.

بعد إعلان الحرب قرر حنبعل الإستعداد للحملة على إيطاليا،لقد قام حنبعل بجلب جنود من إفريقيا إلى إسبانيا،[2] كما تمكن من كسب الحلفاء بين الشعوب التي هزمتها روما وجميع الشعوب التي تهددهم، كالغاليين وسكان ما وراء جبال الألب، وسراقوسة التي تعتبر مموّلا رئيسيا لروما من القمح، وسردينيا التي يسيء الحكام الجدد معاملة سكانها، ضف الى ذلك ملك مقدونيا الذي لم يقبل إستقرار الرومان على السواحل الإيليرية[3]، كما إستقبل حنبعل عدد من الوفود خاصة الغاليين الذين وعوده بتقديم المساعدات الحربية ضد روما، وكذا كل المعلومات الدقيقة حول جبال الألب.[4]

– بداية الحملة على إيطاليا وعبور جبال الألب.

بعد كل هذه الترتيبات والاستعدادات، قرر حنبعل في ربيع 218ق.م، الزحف نحو نهر الإبيرو مع جيشه البالغ تسعين ألف من المشاة واثنا عشر ألف من الفرسان وسبعة وثلاثين فيلا،[5] بهدف السيطرة على شمال الإبيرو الذي يشكل عائق أمامه، وبالطبع وجد حنبعل عند وصوله إلى هذا النهر مقاومة عنيفة من طرف السكان الموجودين على ضفافه، لكن رغم ذلك تمكن من الانتصار على هذه القبائل لأنه يرى أن الوقت غير كافي، مما أدى إلى فقدان روما لأهم حلفائها في اسبانيا.[6]

1- نصحي إبراهيم، المرجع السابق، ص.217.

2- Polybe, III, 2, 33.

3-قزال، س.، المرجع السابق، ص.128.

4-دوكري. ف.، المرجع السابق، ص. 182.

5- Ferrero, G., 1918, Grandeure et décadence de rome, t1, trad., Urbain, M., Paris, p20.

6- Mommsen, T., Histoire Romaine, trad.C.A.Alexandre, 1865, p.135.

بعد ذلك تقدم حنبعل نحو البرانيس دون معاناة تذكر، حيث عند وصوله إلى المنطقة قام بتسريح عدد من جنوده، ثم واصل القائد البرقي التقدم في شق طريقه وسط القبائل الغالية تارة بالقوة تارة بالتفاوض سواء بالمال أو بالذهب القرطاجي، حتى وصل في شهر جويلية إلى نهر الرون.[1]

حين علم القنصل سكيبيون بتقدم حنبعل حاول إيقافه وذلك بإنزال جيشه في مارسيليا، لكن بمجرد وصوله عرف أن الجيوش القرطاجية على بعد خمسين ميلا شماله[2]، فبالتالي يصعب ملاحقتها، لذا عاد إلى مدينة بيزا * وشرع في الإلتحاق بحنبعل مع فيلقين أرسلتهما روما إلى هناك لمواجهة الغاليين الثائرين،[3] لكن حنبعل تمكن من الوصول إلى سفوح جبال الألب، ولم يكن إجتياز هذه الجبال سهلا خاصة بداية تساقط الثلوج ووجود العداء من سكان الجبال الذين أجبروه على المقاومة، الأمر الذي كلفه غاليا إذ لم يبقى من الجيش القرطاجي الذي غادر قرطاجنة منذ خمسة أشهر سوى عشرين ألف من المشاة و ستة ألاف فارس و واحد وعشرون فيلا.[4]

يذكر فرانسوا دوكري أن طوال كل هذه المسيرة، تحمل حنبعل خسائر جسيمة وكثيرة، سواء كانت ناجمة عن هجوم الأعداء أو أثناء إجتيازه مجاري الماء، ولقد كانت أكثر الخسائر في الخيول بسبب المنحدرات الوعرة و العوائق ، لكن هذا لا يفسر فقط الخسائر بل هناك قسم كبير من الجيش بقيّ كحاميات في النقاط والمناطق الإستراتجية بغرض الحفاظ على خطوط إتصالات حنبعل مع قواعده في شبه الجزيرة الإبيرية.[5]

بإجتياز حنبعل لجبال الألب أصبح وجها لوجه أمام روما، لكن بإلتحاق القنصل بوبليوس كورنليوس سكيبيون ومحاولة إعتراض طريقه، أدى إلى دخول الطرفين في إشتباك غرب تسين على نهر البو، وجرت ما تعرف بمعركة تسين التي تعتبر أول معركة في الحرب البونية الثانية،[6] حيث كان النصر

1- Mommsen, T., op cit, p.136.

2- شوقي.خ. ل، المرجع السابق، ص.187.

3- قزال، س.، المرجع السابق، ص.136.

4- المرجع نفسه.

5 دوكري، ف. المرجع السابق، ص، 158-159.

6- Le peyre, G.G. et Pellegrin, A., op cit ,p.106.

خلال هذه المعركة حليف القرطاجيين بفضل دور الفرسان النوميديين،[1] أين تم قتل العديد من الرومان وأصيب في نفس الوقت القنصل سكيبيون بجروح أمام أنظار إبنه الذي سيصبح فيما بعد سكيبيون الإفريقي،[2] هذه الهزيمة التي أجبرت سكيبيون على نقل جيوش من تيسين وعبور نهر البو إلى مستوطنة بليزانس التي إستقر بها.[3]

في أواخر شهر ديسمبر 218 ق.م قام حنبعل بنهب وقتل الشعوب الغالية التي بقيت حليفة لروما، بهدف جذب الرومان للمعركة ، وهذا ما كان بالفعل إذ قام سمبرونيوس بعبور نهر تريبي رغم إرتفاع مياهه، والهجوم على الجيوش القرطاجيين، لكن هذه الأخيرة نُظمت فوق أرض المعركة المختارة من طرف قائدهم حنبعل.[4]

ويذكر تيت ليف أن هزيمة تريبي أحدثت رعبا في روما، جعلت الرومان يعتقدون أنهم يرون حنبعل زاحفا نحو المدينة.[5]

بعد هذا الانتصار أصبح حنبعل مهيمنا على بلاد الغال، وأدى ذلك إلى إنضمام عدد كبير من الغاليين إلى جانبه حيث أمضى فصل الشتاء عام 217/218 ق.م في تدريبهم،[6] وجمع المؤن والغنائم إستعددا لربيع 217ق.م من أجل التوغل في أراضي إيطاليا الوسطى.[7]

– معركة ترازيمان في جوان 217 ق.م:

في ربيع 217ق.م قام حنبعل بإحراق الأرياف ونهبها وهو يستأنف طريقه نحو الجنوب، وأمام هذه الأوضاع قرر فلامنيوس (Flaminius) الذي نفذ صبره ملاحقة حنبعل،[8] هذا الأخير

1- Polybe, III, 2, 65.
2- Silius Italicus, Les guerres puniques, trad. D. Nisard, Paris, S, D. IV.
3- Hennebert, E., Histoire d'Hannibal, T2, Paris, 1891, p. 463.
4- Mommsen, T., op cit, p.153.
5- Tite-Live, XXI.57.
6- رزق الله. إ، التاريخ الروماني، لبنان، 1996، ص.128.
7- Combert Fernoux, B., op cit, p.83.
8- دوكري،ف، المرجع السابق، ص.161.

أدخل جيوشه في ممر ضيق يحاذي بحيرة ترازيمن، بينما وضع عدد كبير من جيوشه على المرتفعات الموجودة حول البحيرة.[1]

قرر فلامنيوس متابعة حنبعل دون إنتظار وصول القنصل سرفليوس(Sérvilius) الذي كان معسكرا في أرمنيوم،[2] وأثناء مرور فلامنيوس وجيشه بالمضيق، هاجمه حنبعل من كل الجهات مستغلا في نفس الوقت الضباب الكثيف.[3]

كانت نتائج معركة ترازيمن وخيمة على الجيش الروماني حيث سقط أغلبية الجنود الرومان في بحيرة ترازيمن غرقا، ما أدى إلى موت القنصل فلامنيوس وخمسة عشر ألف من جنوده ولم يستطيع النجاة سوى ستة ألاف بعدما تمكنوا من إختراق صفوف حنبعل، هذا الأخير الذي فقد بدوره ألفين وخمسمئة جندي.[4]

أدت هذه الانتصارات إلى حدوث أزمة داخل روما حيث ظن الرومان أن حنبعل سيهاجم المدينة، خاصة مع غياب القنصلين حيث قتل الأول وحوصر الثاني بالجيوش القرطاجية و أصبح غير قادر على الاتصال والرجوع إلى روما، الأمر الذي دفع مجلس السناتو إلى تعيين كوينتوس فابيوس ماكسيموس دكتاتورا.[5]

إنتهج فابيوس سياسة مغايرة تجاه حنبعل، إذ رفض خوض المعركة لمعرفته بتفوق الفرسان القرطاجيين وصعوبة الوقوف أمام قاهر سكيبيون وفلامنيوس وسمبرونيوس، لذا أخذ يتبع حنبعل دون الإلتحاق به، ويمنع وصول المؤن إليه ويقضي على فرقه من غير أن يعرض فابيوس نفسه للمخاطر الكبيرة.[6]

1- Lancel,S.,op cit ,p.40-1

2-جوليان،ش،أ.،المرجع السابق ،ص.85.

3-رزق الله،إ،أ.،المرجع السابق ،ص.128.

4-طراد إبراهيم نجيب.،تاريخ الرومان،الجيزة،1997 ،ص.138.

5- Plutarque.,*Vies des hommesillustres*,trad,Alexis pierron, T1,Paris,1853,VII. .

6-قزال،س.،المرجع السابق ،ص.140.

– معركة كان (Cannes) في أوت 216 ق.م: بعد إخفاق الدكتاتور فابيوسفي تلبية أمال روما المتمثلة في الثأر من القائد القرطاجي حنبعل قرروا إنتخاب لوكيوس إمليوس باولوس Lucius Aemilius Paulus وكايوس تارنتيوس فارون (Caius Tarentius Varron) قنصلين جديدين لسنة 216 ق.م.[1]

وكانت كل الأنظار موجهة نحو القائد إمليوس باولوس الذي يتميز بالشجاعة، القدرة والكفاءة أثناء حرب روما ضد الإليريين.[2]

بعد ما أعد للأمرعدته ذهب الرومان إلى مدينة كان في سهل أبوليا (Apulie)، بجيش يقدر بحوالي ثمنين ألف من المشاة وحوالي ستة ألاف فارس، بينما يضم الجيش القرطاجي أربعين ألف من المشاة وعشرة ألاف من الفرسان، ويعتبر التفوق في الفرسان ذو أهمية بالغة كونهم القوة الضاربة في الجيش القرطاجي.[3]

إن الرومان هم الذين تكفلوا بإخراج حنبعل من الضائقة حين عرضوا عليه المعركة التي طالما انتظرها، وقد جرت على نهر الأفيدوس حيث كانت الأرض صالحة لفرسان حنبعل في أوت 216ق.م.[4] بدأت هذه المعركة باستفزازات حنبعل الذي يرسل بعض الفرسان النوميديين لمهاجمة بعض الجنود الرومان الذين كانوا يبحثون عن الماء.[5]

في اليوم الموالي تولى فارون قيادة الجيش الروماني،[6] ورتبه للمعركة بعدما انتقل إلى الضفة الأخرى من النهر، في نفس الوقت الذي قام حنبعل باجتياز النهر وأصطف أمام الرومان.[7]

1- Yanoski, J., Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne: Carthage, Numidie, Mauritanie, T2, Paris, 1844, p.83.

2- Polybe, III, 4,-10.

3- العسلي. ب.، المرجع السابق، ص.77.

4- قزال،س.، المرجع السابق، ص.141.

5- Polybe, III, 4,112 .

6- كان القنصلان فارون وبول إميلي يتناوبان القيادة،إّ يقود أحدهما الجيش والأخر الجيش في اليوم التالي. أنظر العسلي. ب.، المرجع السابق ، ص.77.

7- Polybe, III, 4,113 .

لقد أعتبرت خطة حنبعل التي أعتمد عليها في هذه المعركة مثالا لكل المدارس الحربية وربما أكبر معركة في التاريخ القديم.[1] وذلك لعدم إستفادة الرومان من تفوقهم العددي.[2]

نظم حنبعل جيشه كالعادة حيث جعل الفرسان الإبيريين والكلتيين بالجناح الأيسر، والنوميديون بالجناح الأيمن، أما في الوسط فرتب المشاة الغاليين والإسبانيين ونظمهم على شكل خط يشبه هلال. وبين طرفي هذا الهلال والجناحين جعل المشاة الأفارقة مقسمين إلى قسمين متساويين.[3] كان مخطط حنبعل دفع الرومان للهجوم على القسم الوسط حيث توجد العناصر الأقل مقاومة هذه العناصر التي تتخلى عن مواقعها وتتراجع إلى الوراء أمام ضغط الجيوش الرومانية وتتمكن من امتصاص الرومان الذين سيظنون أنهم يحرزون النصر.[4] وبالفعل نجحت خططته وتمكن من الإنتصار.

لقد كانت نتائج معركة كان وخيمة على الجيش الروماني،[5] إذ يرى بوليب أن حجم الخسائر عند الرومان بلغت سبعين ألف قتيل، وعشرة ألاف جندي أسير لم يشاركوا في المعركة،[6] بينما يرى تيت ليف أن الخسائر الرومانية بلغت خمسة وأربعين ألف وخمسمائة قتيل من المشاة وألفين وسبعة مئة من الفرسان نصفها من الرومان والنصف الأخر من الحلفاء.[7]

أما الجيش القرطاجي فلقد خسر خمسة ألاف وسبعمائة رجل معظمهم من الغاليين. في اليوم الذي تلى معركة كان أمر مهربعل القائد حنبعل مواصلة السير والزحف على روما، غير أن هذا الأخير رفض ذلك فقال له مهربعل :"إن الألهة لا تمنح الانسان كل شيء"[8] "إنك يا حنبعل تعرف كيف تنتصر و لكن لا تحسن الاستفادة من انتصارتك".[9]

1- Ait Amara, O., op cit, p.59.

2- طراد. إ.ن.، المرجع السابق، ص، 222.

3-قزال، س.، المرجع السابق، ص، 141.

4- دوكري. ف.، المرجع السابق، ص. 163.

5-الكاتب، س.أ.، 2005، أطلس التاريخ القديم، ط2، بيروت، ص103.

6- Polybe, III, 4, 117.

7- Tite- Live, XXII,49.

8- دوكري،ف، المرجع السابق، ص.191.

9- Le Bohec, Y., Histoire Militaire Des Guerres Puniques, paris, 1996, p.203.

في الحقيقة نجهل الأسباب التي كانت وراء عدم هجوم حنبعل على روما ،حيث يرى بعض المؤرخين أنه كان ينتظر هدنة من روما وتطلب السلام، والبعض الأخر يرى أن الجيش القرطاجي ليس مدرب على عملية الحصار.[1]

1- Ait Amara, O., op cit, pp.60-61.

الحرب البونية الثانية في إسبانيا (217-206ق.م)

عندما فشل بوبليوس كورنيليوس سكيبيون (Publius Cornélius Scipion) من الإلتحاق بحنبعل عند نهر الرون (Rhone) عام 218 ق.م، قرر الرجوع نحو روما وملاحقة حنبعل، وفي نفس الوقت إرسال جيشه إلى إسبانيا بقيادة أخيه كايوس (Caius) لإتمام المهمة التي كلفه بها مجلس السناتو، ولقد كانت لهذه القرارات نتائج بعيدة المدى في سير الحرب البونية الثانية، حيث تمكن الرومان من السيطرة الرومان على ساغونتة 216ق.م، خاصة بعد تحرير الرهائن الإبريين،[1] ثم جاء دور مدينة موندا (Munda) عام 214 ق.م.[2]

بعد هذه الإنتصارات وصل الرومان إلى الواد الكبير (Guadal quivir)* وعقدوا حلفا مع صفاكس ملك مملكة نوميديا الغربية سنة 213 ق.م.[3] هذا الأخير الذي قبل بذلك شرط أن يرسل الرومان قادة عسكريين ليدربوا النوميديين على أساليب القتال، هذا الطلب الذي قبله الوفد مباشرة حيث تركوا القائد ستاتوريوس ليعلم جنود سفاكس أساليب وطرق الحرب.[4]

في سنة 211 ق.م أحرز هسدربعل مع أخيه ماقون إنتصارا هاما على الرومان، حيث إفترق الأخوين سكيبيون لمهاجمة الجيوش القرطاجية لكنهما مات خلال المعركة مع عدد من رجالهم مما دفع الرومان يتراجعون إلى شمال نهر الإبيرو،[5] وأمام الضغط القرطاجي والنوميدي بقيادة الملك ماسينيسا، تم تعيين القائد بوبليوس كورنيليوس سكيبيون برتبة بروقنصل (Proconsul) ليقود الحملة على إسبانيا سنة 210 ق.م.[6]

1- Polybe, III, 3, 99.

2- Tite-Live., XXIV, 42, 8.

*الواد الكبير: نهر ينبع من المناطق الداخلية من إسبانيا ويصب في البحر الأبيض المتوسط، أنظر: Pais, E., Leçon sur les guerres puniques, Revue africaine, 1925, v66, p.61.

3- حارش. م.، التاريخ المغاربي القديم منذ فجر التاريخ إلى غاية الفتح الإسلامي، الجزائر، 1995، ص.68.

4- Tite-Live, XXIV, 48,1-10.

5-الصفدي، هـ.، المرجع السابق ، ص.168.

6- Meuleau, M., Le monde et son histoire: le monde antique, t2, Paris, 1965.p.156.

لما جمع سكيبيون كل هذه المعلومات عن القرطاجيين، أخذ سنة 209ق.م في تنفيذ مخططه الهادف إلى هجوم قرطاجنة في إسبانيا مع القائد لايلوس الذي كان يقود الأسطول، حيث أخذ سكيبيون جيش يقدر بخمسة وعشرين ألف من المشاة وألفين وخمسمئة من الفرسان غادر بها تراكون نحو وجهة غير معروفة بالنسبة للجيش لأن سكيبيون حافظ على خطته سريا[1]، بعد سبعة أيام من عبورنهر الإبيرو وصل الرومان إلى قرطاجنة، ولقد حاول بعض الجنود القرطاجيين بقيادة قائد يدعى ماقون(Magon) وسكان المدينة من الوقوف أمام تقدم الرومان ما أدى إلى حدوث فوضى عارمة و الدخول في معركة، لكن عدم قدرة القرطاجيين في مواجهة سكيبيون ووقوع عدة خسائر في جيشهم و صعوبة تقديم المساعدات دفعهم إلى التراجع نحو قلعة المدينة.[2]

أمام هذا النجاح قام سكيبيون بمهاجمة القلعة، لكن سكانها و القرطاجيين أغلقو كل الأبواب والمنافذ، ما دفع القائد الروماني إلى إستعمال السلالم للدخول، وهذا ما كان بالفعل حيث إستطاع الرومان دخول القلعة ومهاجمة كل السكان وقتلهم، ولما رأى ماقون أنه لايستطيع المقاومة أرسل موفدين إلى سكيبيون يطلب منه الحفاظ على حياته ويترك له كل الثروات الموجودة في القلعة، وكان رد سكيبيون الموافقة على ذلك.[3]

كان لسقوط قرطاجنة نتائج وخيمة على القرطاجيين والإبيريين حيث أصبح المجال مفتوح أمام الرومان والدليل على ذلك إنتصارهم في معركة بايكولا (Baecula) 208 ق.م، ثم معركة نهر ميتور (Métaure) بعدما أُجبر هسدربعل على خوض المعركة، التي كانت نتائجها ثقيلة على قرطاجة.[4] إذ بلغ عدد القتلى القرطاجيين عشرة ألاف بينهم القائد هسدربعل[5]، أما الرومان فلم

1- Brisson., J-P., Carthage ou Rome, 1973, p.250.
2- Polybe, X, 2,12.
3- Julien, C-A., Marsy, M., Les Africain, t3, Paris, 1990.p.222.
4- Segur, L-P., Histoire romaine depuis la fondation de Rome jusqu'à la fin de règne de constantine, Paris, 1848, p.221.
5- السعدني، م، إ، حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية القرن الأول ميلادي، ط1، القاهرة، 1998، ص.94.

يخسرو سوى ألفين من جنودهم، كما نهبو وأحرقو معسكر القرطاجيين.[1]وبعد أيام أخذ رأس هسدربعل وتم رميه في معسكر حنبعل.[2]

بعد هذه الهزيمة تراجع القرطاجيين نحو قادس وحاولو إعادة تنظيم جيوشهم من خلال القائد ماقون، الذي قام بتجنيد بعض الأهالي من الغاليين والليقوريين وحاول الإستيلاء على قرطاجنة لكن دون جدوة لذا رجع إلى مدينة قادس هذه الأخيرة التي صدت عنه الأبواب،[3] وتوجه إلى مدينة إبيزا ومنها إلى جزر البليار (Iles Baleares) التي قضى فيها فصل الشتاء.[4]

أما سكيبيون فبعد أن حقق هذا النجاح في شبه الجزيرة الإبيرية من خلال السيطرة على كامل المواقع التي كانت تحت السيطرة القرطاجية، وحرمان حنبعل من الإمدادات التي كان ينتظرها،[5] عاد إلى روما سنة 205ق.م وأنتخب قنصلا، وأصبح يعد للحملة على إفريقيا.[6]

حملة سكيبيون على إفريقيا204ق.م:

في سنة 204ق.م أخذ سكيبيون في تنفيذ مشروعه الهادف إلى نقل الحرب إلى إفريقيا، إذ بدأ بحشد الجيوش الرومانية في ليلبي (Lilypée) والتي تقدر بخمسة وثلاثين ألف جندي بين المشاة والفرسان،[7] وبعد إستكمال التجهيزات شرعت الجيوش الرومانية في الإبحار نحو الأمبوريات (Emporia) أي خليج قابس نظرا لخصبة هذه الأخيرة وغناها بكل أنواع الخيرات، كما أن سكانها مسالمون ما يسهل عملية إخضاعهم، لكن هبوب رياح شديدة أبعدت الأسطول عن الساحل الصقلي وأدخلته في ضباب كثيف إستمر حتى الليل ومع طلوع الشمس ظهر ساحل طويل،

1- Polybe, LXI, 2, 3.

2- . Babelot, E., 1896, Carthage, Paris, p.39.

3-تسيركين، ي، ب.، الحضارة الفنيقية في إسبانيا، ترجمة أبي فاضل، ي، ط1، بيروت، 1988، ص.255.

4- Pais, E, op cit, p. 384.

5-يحي لطفي، ع،ا.، تاريخ اليونان والرومان، بيروت، 2006، ص.267.

6-حارش، م،ل.، المرجع السابق، ص، 56.

7- Saumagne, CH., La Numidie et Rome, Massinissa et Jugurtha, Paris, 1966, p.68.

فسأل سكيبيون عن إسم أقرب رأس مجاور، فأجابه قادة السفن بأنه الرأس الطيب فصاح قائلا:"هذا فأل حسن، إلى هنا سنذهب"، فأتجه الأسطول و نزلت كل الجيوش إلى الأرض.[1]

بعدها أقام سكيبيون معسكره في الساحل وإستولى على بعض المرتفعات المجاورة، كما جمع الكثير من الغنائم وإتجه بعدهاإلى شمال أوتيكا،[2] أما ماسينيسا الذي علم بقدوم الجيوش الرومانية، بادر بالإلتحاق بها مع عدد كبير من جنوده إذ يروي تيت ليف أن الحادثة التي بعثت الرضا في قلوب الرومان هو وصول ماسينيسا.[3]

إنتشر خبر نزول الرومان بسرعة، ما خلق إزدحما وهرعا بين السكان، أما قرطاجة فأغلقت أبواب المدينة وإمتلئت أسوارها بالمدافع، وكلف هسدربعل بن جسكون بتنظيم جيش قادر على المواجهة، وفي نفس الوقت أُمِر بعدم خوض أي معركة حتى وصول القائد النوميدي سفاكس،[4] لكن سكيبيون إستولي على سلايكا التي ترك بها حامية ثم على الأراضي المجاورة بعد قتل سكانها.[5]

بعد هذا الإنتصار إتجه سكيبيون نحو أوتيكا لإقامة معسكره الشتوي، لذا فرض عليها حصارا بالأسطول من جهة البحر وبالجيوش البرية التي إستقرت على مرتفع قريب من أسوار المدينة،[6] وبعد أربعين يوما من الحصار وعدد من الهجمات لم يتمكن القائد الروماني من دخول المدينة.[7]

– المفاوضات بين سكيبيون والقرطاجيين:

مع حلول فصل شتاء سنة 204ق.م جرت مفاوضات بين سكيبيون وسفاكس، حيث أراد سفاكس دفع القرطاجيين و الرومان إلى التفاوض،[8] حيث إقترح سفاكس خلال هذه المفاوضات

1-قزال، س.، المرجع السابق، ص، 186-187.

2-دوكري،ف.، المرجع السابق ، ص.178.

3- Yanoski, J., op cit, p.92.

4- Lancel, S., 1995, p.266.

5-قزال،س.، المرجع السابق، ص ص، 191-192.

6-حارش،م،. المرجع السابق، ص.20.

7-فرحاتي، ف.، المرجع السابق ، ص.74.

8- شنتي،م، المرجع السابق ، ص.28.

إنسحاب الرومان من إفريقيا مقابل إنسحاب القرطاجيين من إيطاليا، ويحتفظ الطرفين على الأراضي التي سيطروا عليها حتى هذا التاريخ.[1]

قبلت قرطاجة شروط الصلح ربما لأنها غير قادرة على إسترجاع شبه الجزيرة الإيبيرية، صقليا وسردينيا، كما هي مقبولة من طرف روما خاصة وأنها تتخلص من حنبعل وماقون كما تحتفظ بشبه الجزيرة الإيبيرية التي سيطروا عليها، ولقد إستمرت هذه المفاوضات لفترة زمنية طويلة لأن سكيبيون كان يفكر في تنفيذ مشروع أخر وهو التجسس على القرطاجيين.[2]

مع حلول فصل الربيع لسنة 203ق.م أرسل سكيبيو مبعوثين إلى سفاكس يخبره بأنه يريد السلام والتحالف معه.[3] لكن وبمجرد مغادرة الوفد الروماني وصل مبعوثين قرطاجيين يخبرونه سفاكس بأن مجلس الشيوخ القرطاجي يرفض إقتراح سكيبيون، وأن هسدربعل أعطاه إبنته سفونيسبة مقابل التحالف مع القرطاجيين.[4] وبعدما جمع سكيبيون كل المعلومات المتعلقة بالقرطاجيين وسفاكس وإستعانه بماسينيسا الذي يعرف المنطقة،حيث تظاهر و كأنه يريد إعادة حصار مدينة أتيكا.[5]

إعتقد هسدربعل وسفاكس أن الهدف هو حصار أوتيكا غير أن الحقيقة هي مشروع يستهدف معسكريهما، إذ قام سكيبيون في الليل بتقسيم جيشه إلى قسمين وأسند القسم الأول إلى لايليوس وماسينيسا، حيث أمرهم بمهاجمة معسكر سفاكس أما هو فيهاجم معسكر هسدربعل،[6] وهذا ما كان بالفعل حيث أشعل بعض الجنود الرومان النار في معسكر سفاكس ما أدى إلى إندلاع حريق كبير وعمت الفوضى، حيث قتل الجنود حرقا أو ذبحا أثناء محاولتهم الهروب، ثم أشعل سكيبيون النار في معسكر هسدربعل الذي تكبد بدوره خسائر أكثر من سفاكس.[7]

1- Dion Cassius, Histoire romaine, trad., E, Gros, Paris, 1848, CCXV.
2- Babelon, E., op cit, p.40. Tite-Live, XXX, 3, 8.Polybe, XIV, 2, 1.
3- Monique, J-H., 2006, p.17.
4- Berthier, A., La Numidie, Rome et le Maghreb, Paris, 1981, p.34.
5- Tite-Live, XXX, 4, 10-12.
6- Polybe, XIV, 2, 4.
7- Florus, II, 6 .

– معركة السهول الكبرى أفريل عام 203 ق.م: رغم تلك الهزيمة إلا أن القرطاجيين وسفاكس جمعوا جيش قدره ثلاثين ألف جندي وقررو العودة إلى الحرب، حيث عسكروا في السهول الكبرى ووقع إختيار هذا المكان حتى يتمكن سفاكس من تلقي النجدات بسهولة، لكن ذلك لم يمنع سكيبيون وفرسان ماسينيسا من الإنتصار عليهما في منتصف أفريل عام 203 ق.م.[1]

بعد هزيمة الجيوش قرطاجية قرر مجلس الشيوخ القرطاجي إرسال وفد يضم ثلاثين عضوا من مجلس القدماء للتفاوض مع سكيبيون وربما الغرض من ذلك ربح الوقت من أجل إستدعاء حنبعل للدفاع عن قرطاجة،و لقد إشترط سكيبيون على الوفد القرطاجي شروط قاسية تتمثل[2] في:

– تسليم قرطاجة كل الأسرى والعبيد والفارين من الجيش الروماني.

– إنسحاب الجيوش القرطاجية من جنوب إيطاليا وسهل البو.

– إنسحاب القرطاجيين من شبه الجزيرة الإيبيرية وجميع الجزر الواقعة بين إيطاليا وإفريقيا.

– يسلم القرطاجيين أسطولهم الحربي ما عدى عشرين سفينة.

– يدفع القرطاجيين غرامة مالية قدرها خمسة ألاف تالنت، ويزوّدون الجيش الروماني بحجاته من القمح والشعير حتى نهاية معاهدة الصلح.[3]

قبل القرطاجيين شروط الصلح، وحتى الذين رفضوا تظاهروا بالقبول، لكن المفاوضات التي بدأت سنة 203 ق.م كانت طويلة، لأن مجلس الشيوخ القرطاجي كان يتشاور مع سكيبيون في موضوع شروط الصلح وفي نفس الوقت أسدعي حنبعل للعودة.[4]

– عودة حنبعل إلى إفريقيا: قام مجلس الشيوخ القرطاجي بإستدعاء القائدين البرقيين حنبعل وماقون، وقد توفي هذا الأخير أثناء العودة متأثرا بجروحه.[5]

1- Babelon,E.,op cit ,p.40.

2- رمضان، ت، معاهدة زاما 201ق-م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، الجزائر، 1993. ، ص.20.

3- Lancel, S., op cit, p.273.Gaid, M., 1990, p.81-82.

4- Tite-Live, XXX, 16, 14.

5- Ibid, XXX, 19, 5.

أما حنبعل فلم يكن راضيا بطلب قرطاجة نظرا لمكوثه خمسة عشر عام يهزم أقوى الجيوش في تلك الفترة، لذا قال:" إن من هزمني لم يكن الشعب الروماني الذي فر في العديد من المرات، بل الفئة الحاكمة القرطاجية الفاسدة". وقد ترك حنبعل لوحة مكتوبة بالبونية والإغريقية على أحد أعمدة معبد جونون لاسينيون روى فيها معاركه منذ إنطلاقه من شبه الجزيرة الإيبيرية إلى ذلك الوقت.[1]

لم يكن أي إنسان حزين عندما يترك وطنه بقدر ما حزن حنبعل عندما ترك أرض عدوه الرومان أي إيطاليا، خاصة وأن سكيبيون الذي أجبره على العودة إلى قرطاجة لم يراه من قبل في إيطاليا، إذ وبمجرد روكب حنبعل البحر أخذ يلعن نفسه ويشكوا الألهة، وينظر إلى السواحل الإيطالية حتى إختفت عن أبصاره.[2]

كان نزوله في لمطة (Leptis minors) على مسافة قليلة من حضرموت (سوسة) التي دخلها مع جيشه وقد إختار هذا المكان لسهولة تلقي النجدات والمؤن، ويكون حرا في تنقلاته وبعيدا عن الحكومة القرطاجية، خاصة وأنه لم يكن مستعيدا لتلقي أوامرها،بعدها إنضمت جيوش قرطاجية أخرى بقيادة قائد يدعى ماغون إلى جيش حنبعل.[3]

-معركة زاما عام 202 ق.م :

نظم الرومان موكبين من السفن لتموين الجيوش في إفريقيا، أحدهما تحت قيادة البريطور بوبليوس كرنيليوس لنتولوس (Poblius Cornélius Lentulus) والمتكون من مئة سفينة نقل محملة بالمؤن وعشرين سفينة حربية وكانت منطلقة من سردينيا (Sardaigne)، أما الموكب الأخر بقيادة البريطور السابق كنايوس أوكتافيوس (Cnaeus Octavius) ويضم مئتين سفينة للنقل وثلاثين قادس يحرسها وكان هذا الموكب منطلقا من صقليا،[4] وقد تعرض هذا الأخير لعاصفة في عرض البحر أمام السواحل الإفريقية، ما أجبره بعض السفن على التوقف في جزيرة زيمبر الصغيرة أو

1- Le bohec, Y., op cit, p.248.
2- Jean, P., Annibal, France, 1962, p.386. Tite-Live, XXX, 20, 7-8.
3- Babelon, E., op cit, p.40.
4- Tite-Live, XXX, 24, 5-6.

جزيرة إجيمور بمدخل خليج قرطاجة، ولما رأى السكان ذلك إجتمع مجلس قرطاجة بضغط من السكان الذين يشكون قلة الإمددات، فتقرر الإستيلاء على هذه السفن وجرها حتى ميناء قرطاجة.[1]

الحرب البونية الثالثة:

في حدود سنة 150 ق.م حدث صراع بين قرطاجة وماسينيسا، ما أدى إلى تدخل روما التي أدركت أن ظهور أي قوة في الحوض الغربي للمتوسط سيعيق مشروعها للسيطرة الشاملة، خاصة وأن ماسينيسا يريد إسترجاع أملاك أجداده لذا رات من الضروري تدمير قرطاجة، فتدخلت مباشرة وأعلنت الحرب البونية الثالثة بحجة أن قرطاجة خالفت بند من بنود معاهدة زاما القاضي بغعلان الحرب دون إشتشارتها، لهذا هيأت جيش يقدر عدده بأزيد من 80 ألف من المشاة وأربعة الاف فارس، في حين ضم الأسطول البحري 50 سفينة خماسية و100 سفينة حربية من الحجم الصغير.[2]

أدرك القرطاجيون إستحالة مواجهة الرومان خاصة وأنها تفتقد لجيش وحليف يساعدها، لهذا قررت إرسال مبعوثين إلى روما للتفاوض، لكن قرار الحرب إتخذ من قبل، وحتى يناور الرومان القرطاجيين طلبو منهم أرسال 300 رهينة يتم إختيارهم من بين أبناء أعضاء مجلس الشيوخ والقرطاجي، هذا الطلب الذي قبله القرطاجيين مباشرة.[3]

رغم التفاوض بين الطرفين إلا أن الرومان قاموا بإنزال جيوشهم في مدينة أوتيكا ما أدى إلى حالة من الذعر في قرطاجة، وإزدادت الأمور سوءا بعدما طلب قناصلة روما من القرطاجيين التنازل عن لأسلحتهم وترك المدينة وبناء مدينة جديدة.[4]

هذا الطلب التعجيزي أدى إلى مواجهة عسكرية أسفرت عن سقوط قرطاجة على يد الرومان بقيادة سكيبيون إمليانوس سنة 146 ق.م.

1- Brizzi, G, Moi Hannibal, France, .2007, p.243.
2- Appien,75.
3- Gsell, op cit,T3, p 343.
4- محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص71.

بلاد المغرب القديم بعد سقوط قرطاجة:

بسقوط قرطاجة سنة 146 ق.م، أصبح بلاد المغرب تحت حكم ملوك محليين بإستثناء قرطاجة التي أحيطت بخندق ملكي و تحويلها إلى مقاطعة رومانية بهدف الوقوف في وجه الملوك النوميديين الراغبين في تأسيس مدينة على الأراضي القرطاجية.

رغم النهاية التي عرفتها قرطاجة إلا أن وضعية نوميديا كانت أكثر تعقيدا، نتيجة مشكل وراثة العرش الذي ظهر بعد وفاة الملك ماسينيسا سنة 148ق.م، والذي لم يكن شاهدا على زوال قرطاجة، وبما أنه ترك العديد من الأبناء قرر ترك الوصية بأن تقسم المملكة بين أبنائه الثلاثة:مسيبسا، غلوسة ومستنبعل، وهذه الوصية كانت في يد سكيبيون الإميلي بحكم العلاقة التي تربط الملك بالرومان، وكذا تجنب أي صراع يحدث مستقبلا مع الرومان، لهذا السبب تم تقسيم المسؤليات حسب مايلي: مسيبسا يتولى الشؤون الإدارية، غلوسة الشؤون العسكرية، بينما مستنعبل المهام القضائية، لكن مع مع مرور الوقت إنفرد مسيبسا بالحكم بعد وفاة أخويه.[1]

حكم مسيبسا في الفترة الممتدة من 148 إلى 118 ق.م، وهو تاريخ دخول نوميديا في فترة جديدة من الصراعات الداخلية والخارجية، خاصة وأنه ترك العرش لثلاثة من أبنائه: أذربعل وهيمسال وإبن أخيه مستنعبل الذي يدعى يوغرطة، ونحن نجهل هذا التعديل في نظام الحكم، رغم أن المؤرخ اللاتيني سالوست يقول بأن مسيبسا تبنى يوغرطة بعدما أرسله إلى منطقة نومانثيا بإسبانيا سنة 134ق/م على رأس الجيوش النوميدية لمساعدة الرومان في حربهم ضد الإسبان.

والهدف من ذلك هو كسب ود الرومان والتخلص من يوغرطة الذي يهدد عرش أبنائه، غير أن الغموض الذي يطفو حول قضية وراثة العرش بعد وفاة مسيبسا مازالت تطرح عديد من التساؤلات بين أغلب المؤرخين، خاصة وأن كتاب سالوست "حرب يوغرطة" وهو الأقرب لهذه الفترة لم يقدم لنا معومات حاسمة ودقيقة حول هذا الموضوع بل بالعكس نجد فيه تناقض، لأن هذا الأخير

1-شنتي محمد البشير، المرجع السابق، ص31.

يذكر بأن سكيبون الإميلي أرسل مباشرة رسالة للملك مسيبسا سنة 133 ق.م، يعبر فيها عن حسن السيرة والدور البارز ليوغرطة في إنتصار الرومان بإسبانيا، لهذا نبهه بضرورة إشراكه في الحكم، وهذا يدل على أن الملك مسيبسا نزل عند رغبة الرومان.[1] لكن نفس المؤرخ يعود ويذكر بأنه أثناء النقاش الذي دار بين الإخوة الثلاثة إقترح يوغرطة إلغاء كل القرارت التي صدرها مسيبسا قبل خمسة سنوات، فأجابه أخوه بأن موافق وقال له بأنه لا يحق له وراثة العرش ما دام وليده تبناه في هذه الفترة، الأمر الذي وضع يوغرطة في مأزق، ومهما يكن إلا أن وراثة العرش في هذه الفترة كانت نتيجة تطبيق الحكم الثلاثي الذي بدأه ماسينيسا وبتدخل الرومان، ويظهر ذلك في عبارات الإستعطاف والإستمالة التي وجهها مسيبسا ليوغرطة.[2]

إن هذا الإدراك دليل واضح على النوايا الخفية ليوغرطة وهو الذي دبر ماكدة سنة 117 ق.م، بعدما تمكن من دخول القلعة التي تحصن فيها هيمصال، وتمكن من قتله، ما أجبر أذربعل للتوجه نحو روما وإخبار مجلس الشيوخ بمقتل أخيه، وليكسب يوغرطة القضية لصالحه أرسل في نفس الوقت بعثة إلى روما محملة بالهدايا وكميات كبيرة من الذهب والمال لشراء ذمم كل الأشخاص الذين يريدون إدانته، وعندما وصل هؤلاء المبعوثين وإمتثالا للتعليمات، قدموا هدايا كبيرة لكل المقربين ولكل أعضاء مجلس الشيوخ الأكثر تأثيرا، ما حول الحقد والسخط على يوغرطة إلى مشاعر الودية و المؤيدة.[3]

والسبب الرئيسي لهذا الدعم هو إدراك أعضاء الطبقة الأرستقراطية أن هذه الحرب فرصة للحصول على إمتيازات وثروات جديدة، بعدما تحصلوا عليها أثناء تدمير قرطاجة والدليل على ذلك هو تعيين العديد من القادة لهذه الحرب لكن دون الرغبة في إنهاءها، كما يظهر أيضا في ترك ماريوس الجيش والتوجه نحو روما على أمل الحصول على قيادة الحرب.[4]

1-البشير شنتي محمد، المرجع السابق، ص33.

2-حارش محمد الهادي،دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، الجزائر، 2014،

3- كايوس سالوست كريسبوس: حرب يوغرطة، ترجمة محمد الهادي حارش،الجزائر،1991، XIII.

4- Cyril E. Robinson, A History of the Roman Republic 2013, p 261.

لما عرضت المسألة على مجلس الشيوخ إختلفت البعثتين في الرواية، حيث ندد أذربعل بيوغرطة بعد مقتل أخيه هيمصال ورغبته في تولي العرش، بينما بعثة يوغرطة نفت ذلك وقالت بأن أذربعل هو الذي شن حربا لا مبرر لها، وأن هيمصال قتل من طرف النوميديين، هذا ما أدى إلى تضارب الأراء لكن خدماته والرشاوي التي وزعها مكنته من كسب تأييد عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ مقابل الأقلية التي أرادت الثأر،[1] لذا تقرر إرسال بعثة تتكون من عشرة أعضاء بقيادة "لوكيوس أوبيميوس" قنصل سنة 121ق.م الذي إستعمل العنف ضد كايوس جراكوس من أجل ضمان النصر للنبلاء،[2] ورغم إعتباره خصما ليوغرطة إلا أنه فضل التضحية بشرفه وكل مصالحه للملك إذ لم يكد يصل إلى نوميديا حتى تلقى الرشاوي ، ما دفعه إلى تقسيم نوميديا إلى قسمين، و إعطاء القسم الغربي ليوغرطة والشرقي لأذربعل.[3]

بعد تقسيم المملكة رجعت البعثة الرومانية إلى روما وجد يوغرطة نفسه أمام أذربعل، فقام بمهاجمته على أمل دخول هذا الأخير في حرب، لكن أذربعل قرر التفاوض من أجل الحفاظ على العلاقات التي تربطه بروما، ولقد كان رد يوغرطة هو الإستيلاء على كامل نوميديا الأمر الذي أرغم أذربعل على التراجع نحو عاصمته "سرتا" التي فرض عليها الحصار من طرف يوغرطة، ما دفع بمجلس الشيوخ إلى إرسال بعثة لإنهاء الخلاف.[4]

لما علم يوغرطة بهذه البعثة إرتبك في بداية الأمر لأنها تضم رجال مشاهير وأصحاب سلطة ومكانة في المجتمع الروماني، لكن هؤلاء إستسلموا للرشاوي خاصة سكاورس زعيم مجلس الشيوخ، هذا الموقف أدى بيوغرطة إلى حصار سرتا والإستيلاء عليها وقتل أذربعل والتجار الإيطاليين، أثار

1- سالوست، المصدر السابق، XV.

2- ستيفان قزال، المرجع السابق، ص134.

3- سالوست، المصدر السابق، XVI.

4- المصدر نفسه، XXI-XX.

هذا الأمر سخط الرومان خاصة كايوس ميموس الذي إعتبر ذلك مؤامرة من طرف بعض القادة لضمان الحامية ليوغرطة.[1]

ثار الرومان ضد يوغرطة وأعلنوا الحرب، في نفس الوقت الذي أرسل يوغرطة وفدا إلى روما مثقلا بالهدايا والذهب، لكن وعلى إثر نزول الوفد النوميدي في إيطاليا رفض مجلس الشيوخ إستقباله، وتقرر سنة 111 ق.م إرسال القائد باستيا للحد من طموحات وسلطة يوغرطة، وبمجرد نزوله بإفريقيا توغل في الأراضي النوميدية وإستولى على العديد من المواقع والأسرى، لكن رغم ذلك إلا أن باستيا قرر التفاوض مقابل الرشوة.[2]

ما أجبر أذربعل للتوجه نحو روما وإخبار مجلس الشيوخ بمقتل أخيه، ولكي يكسب يوغرطة القضية لصالحه أرسل في نفس الوقت بعثة إلى روما محملة بالهدايا وكميات كبيرة من الذهب والمال لشراء ذمم كل الأشخاص الذين يريدون إدانته، وعندما وصل هؤلاء المبعوثين وإمتثالا للتعليمات، قدموا هدايا كبيرة لكل المقربين ولكل أعضاء مجلس الشيوخ الأكثر تأثيرا، ما حول الحقد والسخط على يوغرطة إلى مشاعر الودية والمؤيدة.[3]

والسبب الرئيسي لهذا الدعم هو إدراك أعضاء الطبقة الأرستقراطية أن هذه الحرب فرصة للحصول على إمتيازات وثروات جديدة، بعدما تحصلوا عليها أثناء تدمير قرطاجة والدليل على ذلك هو تعيين العديد من القادة لهذه الحرب لكن دون الرغبة في إنهاءها، كما يظهر أيضا في ترك ماريوس الجيش والتوجه نحو روما على أمل الحصول على قيادة الحرب.[4]

لما عرضت المسألة على مجلس الشيوخ إختلفت البعثتين في الرواية، حيث ندد أذربعل بيوغرطة بعد مقتل أخيه حفصبعل ورغبته في تولي العرش، بينما بعثة يوغرطة نفت ذلك وقالت بأن أذربعل هو الذي شن حربا لا مبرر لها، وأن حفصبعل قتل من طرف النوميديين، هذا ما أدى إلى تضارب

1- سالوست المصدر السابق، XXVII-XXVI.

2-محمد الهادي حارش، سالوست وحرب يوغرطة، دراسة تحليلية ونقدية، 1991.

3- سالوست ، المصدر السابق، XIII.

4- Cyril E. Robinson, op cit, p261.

الأراء لكن خدماته والرشاوي التي وزعها مكنته من كسب تأييد عدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ مقابل الأقلية التي أرادت الثأر، وفي مقدمة هؤلاء ماركوس إمليوس سكاورس.[1] لذا تقرر إرسال بعثة تتكون من عشرة أعضاء بقيادة "لوكيوس أوبيميوس" قنصل سنة 121ق.م الذي إستعمل العنف ضد كايوس جراكوس من أجل ضمان النصر للنبلاء،[2] ورغم إعتباره خصما ليوغرطة إلا أنه فضل التضحية بشرفه وومصالحه للملك إذ لم يكد يصل لنوميديا حتى تلقى الرشاوي، ما دفعه لتقسيم نوميديا إلى قسمين، وإعطاء القسم الغربي ليوغرطة والشرقي لأذربعل.[3]

بعد تقسيم المملكة رجعت البعثة الرومانية إلى روما وجد يوغرطة نفسه أمام أذربعل، فقام بمهاجمته على أمل دخول هذا الأخير في حرب، لكن أذربعل قرر التفاوض من أجل الحفاظ على العلاقات التي تربطه بروما، ولقد كان رد يوغرطة هو الإستيلاء على كامل نوميديا الأمر الذي أرغم أذربعل على التراجع نحو عاصمته "سرتا" التي فرض عليها الحصار من طرف يوغرطة، ما دفع بمجلس الشيوخ إلى إرسال بعثة لإنهاء الخلاف.[4]

لما علم يوغرطة بهذه البعثة إرتبك في بداية الأمر لأنها تضم رجال مشاهير وأصحاب سلطة ومكانة في المجتمع الروماني، لكن هؤلاء إستسلموا للرشاوي خاصة سكاورس زعيم مجلس الشيوخ، هذا الموقف أدى بيوغرطة إلى حصار سرتا والإستيلاء عليها وقتل أذربعل والتجار الإيطاليين، أثار هذا الأمر سخط الرومان خاصة كايوس مميوس الذي إعتبر ذلك مؤامرة من طرف بعض القادة لضمان الحامية ليوغرطة.[5]

1- سالوست، المصدر السابق، XV.

2-ستيفان قزال، المرجع السابق،ى ص، 134.

3- سالوست، المصدر السابق، XVI.

4-المصدر نفسه، XXI-XX.

5- المصدر نفسه، XXVII-XXVI.

حرب يوغرطة ضد الرومان ما بين 111-105 ق.م:

ثار الرومان ضد يوغرطة وأعلنوا الحرب في نفس الوقت الذي أرسل يوغرطة وفدا إلى روما مثقلا بالهدايا والذهب، لكن وعلى إثر نزول الوفد النوميدي في إيطاليا رفض مجلس الشيوخ إستقباله، وتقرر إرسال القائد باستيا للحد من طموحات وسلطة يوغرطة، وبمجرد نزوله بإفريقيا توغل في الأراضي النوميدية وإستولى على العديد من المواقع والأسرى، لكن رغم ذلك إلا أن باستيا قرر التفاوض مقابل الرشوة.[1]

رفض مجلس الشيوخ هذا الإتفاق بعد إشاعة الرشوة التي تلقها باستيا وسكاورس ،و يظهر ذلك أثناء هجوم "جايوس ميوس" لأعضاء مجلس الشيوخ، وإقتراحه المتضمن إستدعاء يوغرطة لروما مع الحفاظ على حياته شرط الإدلال بأسماء الذين إشترى ذممهم،إستجاب يوغرطة للدعوة لكن نفس الشيء حدث في روما، حيث قام برشوة تريبون العامة "جايوس بابيسوس"، ولما مثل يوغرطة أمام جمعية القبائل طلب منه ميوس ذكر أسماء المرتشين لكن التريبون "جايوس" أمره بالصمت ما أدى إلى إنهاء الاجتماع دون تحقيق نتيجة.[2]

وقد إزدادات الأوضاع سوءا أثناء تواجد "ماسيفا" إبن غلوسة وساند لأذربعل، حيث أرسل يوغرطة "بوملكار" لقتل ماسيفا، وبالفعل تمكن من التخلص لكن الرومان ألقوا القبض عليه وإعترف بعمله، لكن يوغرطة إستطاع تحريره بعد تقديم مبلغ مالي حتى يصل موعد محاكمته، وما أن أطلق سراحه حتى غادر روما وتوجه إلى نوميديا، وهنا قال مقولته: "مدينة للبيع مصيرها المحتوم الزوال إذا وجدت من يشتريها".[3]

بعد هذه المرحلة تم تعيين القاد ألبينوس، حيث أسند له جيش يقدر ب40 إلف جندي سنة 110ق.م، بهدف القضاء على يوغرطة، لكن حنكة هذا الأخير وإتباعه لأسلوب الكر والفر دفع

1-محمد الهادي حارش، المرجع السابق.

2-سالوست، المصدر السابق،XXXIV.

3-سالوست، المصدر السابق،.XXXIII.

القائد الروماني للرجوع إلى روما، وتعيين أخيه أليوس البينوس مكانه، هذا الأخير الذي تقدم نحو منطقة سيتول الواقعة في السهوب أين تمكن يوغورطة من هزيمته وعقد المعاهدة التي تنص على مغادرة الجيوش الرومانية لنوميديا قبل عشرة أيام، قبل القائد الروماني بالشروط لكن مجلس الشيوخ الروماني كعادته شكك في الإتفاق، وقرر نفي الأخوين وتعيين كوينتوس ميتيلوس مكانه.[1]

كان هدف ميتيلوس هو وضع حد للرشوة والفساد وتنظيم صفوف الجيش الروماني في إفريقيا، بهدف تحقيق نتيجة حاسمة ويتبين ذلك في سيطرته المباشرة دون مقاومة على مدينة "باجة" Vaga ومنها أتجه نحو وادي المثول. لكن هذه المرة تمكن يوغرطة من مباغتته والإنتصار عليه، ما أجبر القائد الروماني على مهاجمة مدينة زاما من أجل إستدراج يوغرطة إليها، لكن هذا الأخير إستغل فرصة غياب الفرسان الرومان وتمكن من الإنتصار على ميتيلوس، وكنتيجة لهذه الهزائم تقرر تعيين ماريوس قائد للجيوش الروماني إبتدءا من سنة 108 ق/م، وأول شيء قام به هو جلب الجنود من الطبقة العامة ورفع عدد جنود الوحدة.[2]

كانت مدينة قفصة أول منطقة يتنصر فيها ماريوس ما فتح له المجال لإنتصارات أخرى حتى وصل إلى نهر الملوية، ولكن أهم شيء حققه القائد الرماني هو السيطرة على مدينة سيرتا، أين إستقبل فيها مبعوثين من الملك الموريطاني بوخوس للإتفاق على الهدنة ويتبين ذلك في الرد الذي قدمه مجلش الشيوخ الروماني أثناء إستقباله لبعثة بوخوس:" بما أن مجلس الشيوخ الروماني والشعب الروماني، لا ينسو الحسنة والإساءة، وبما أن بوخوس نادم، فإنهم سوف يغفرون له ذلته ويمنحوه محالفة وصداقة الشعب الروماني لو برهن عملا وليس قولا على أنه جدير بذلك".[3]

حاول أحد المقربين من يوغرطة وهو أسبار التقرب من الملك بوخوس وإقناعه بإلقاء القبض على سولا وتقديمه ليوغرطة لكن دون جدوة، بل بالعكس إتفق الرومان وبوخوس على ضرورة

1- فرحاتي فتيحة ، المرجع السابق، ص158.

2- Gsell (S.), op cit, T7, pp. 227- 228.

3- فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص163.

التفاوض مع يوغرطة من أجل إنهاء الصراع، وهذا ما كان بالفعل حيث قدم هذا الأخير مع جنوده بدون سلاح، وألقي القبض عليه وسلمه بوخوس للقائد الروماني سولا أواخر سنة 105ق.م.[1]

بعد هذه الخيانة تم نقل يوغرطة إلى روما وسجنه في التوليانوم بروما، إلى أن توفي في 104/01/7 ق.م.[2] وترتب عن ذلك مجموعة من النتائج يمكن حصرها في ما يلي:

- حصول الملك الموريطاني بوخوس على الجزء الغربي لمملكة نوميديا مكفاءة لما قدمه للرومان.
- تعيين "غودا" ملكا على الجزء الشرقي لنوميديا وهو شقيق يوغرطة.
- إستغلال كل خيرات نوميديا وموريطانيا الموسعة في هذه الفترة خاصة بعدما أعتبرت هذه الأراضي ملكا للشعب الروماني، كما ت خلق منطقة بين المملكتين حتى يمنع جوث أي صاع مجددا.[3]

1- سالوست، المصدر السابق، CXIII .

2- Richard (J.C.), La victoire de Marius, M.A.H., vol.77, N°.01, 1965, pp.69-86.

3- شنتي محمد البشير، المرجع السابق ، ص 40-41.

أوضاع بلاد المغرب بعد حرب يوغرطة

بعد نهاية حرب يوغرطة تم تعيين غودا ملكا على نوميديا والذي حكم من 104 إلى غاية 88ق.م و هو تاريخ وفاته ووصول إبنه هيمصال الثاني للحكم في القسم الشرقي بينما القسم الغربي كان تحت حكم الملك "هيرباس" والملك "ماستينيسا"« Mastaneosus » ، بينما موريطانيا قسمت أيضا بعد موت الملك بوخوس سنة 70 ق.م، حيث تحصل الملك بوخوس الثاني على المنطقة الغربية بينما بوغود على المنطقة الشرقية، وكنتيجة للحروب الأهلية الرومانية وسياسة التحالفات العسكرية القائمة في تلك الفترة فإن هيمسال الثاني تمكن من فرض نفسه على كامل مملكة نوميديا إبتدا من سنة 81 ق/م، و ظل في الحكم إلى غاية 52 ق.م، وهو تاريخ تولي يوبا الأول الحكم.[1]

إذا كان يوغرطة مجبرا على مواجهة كل الجيوش الرومانية، فإن يوبا الأول كان له الخيار بين إثنين لأن مقاومته جاءت في الفترة التي شهدت فيا الجمهورية الرومانية الحرب الأهلية الثانثة بين يوليوس قيصر و بومبي الكبير، حيث أن الملك النوميدي إنحاز إلى جانب هذا الأخير، وبالطبع مصيره ومصير مملكته مرتبط بنتائج الحرب، خاصة مع بداية سنة 49ق.م، حيث توسعت بقعة الحرب وتعددت الحدود الإيطالية، حيث شملت كل من البلقانن إسبانيا وإفريقيا، وأرسل قيصر القائد كوريو للمنطقة من أجل محاربة أنصار بومبي لكن هذا الأخير قتل قرب مدينة أوتيكا، وأمام هذه الأوضاع الخطيرة قرر قيصر التوجه بنفسه إلى إفريقيا للتخلص من معاريضه، وقد أبحر إلى المنطقة في أواخر سنة 49 ق.م، أين نزل بمنطقة حضرموت (سوسة).[2]

بعد نزول قيصر في إفريقيا حاول السيطرة على المناطق الإستراتجية لكن دون جدوى نتيجة التحالف النوميدي مع القائد الروماني ميتيلوس سيبيون الذي تحالف مع بومبي بعدما كان حليفا لقيصر، وأمام هذا الوضع قرر قيصر التحالف مع الملك الموريطاني بوخوس الثاني وجلب المرتزق

1- فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص 172-173.

2- أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص68.

سيتيوس الذي كان يمارس القرصنة في البحر الأبيض المتوسط ما دفع يوبا للتراجع نحو عاصمته "زاما" لكن سكان المدينة أغلقوا أبوابها ما دفعه للإنتحار.[1]

بعد موت يوبا الأول وإنتصار يوليوس قيصر على خصوصه قرر ترتيب أوضاع المنطقة التي كانت لها إنعكاسات بعيدة المدى وتتمثل في:

-إزالة نوميديا من الوجود وتحويلها إلى مقاطعة رومانية تسمي بإفريقيا الجديدة تميز عن إفريقيا القديمة التي ضمت الأراضي الرومانية بعد سقوط قرطاجة، وعين عليها سالوستيوس كحاكم عليها.

- منح القسم الشمالي الشرقي من نوميديا للقائد سيتيوس نتيجة المساعدة التي قدمها لقيصر، في نفس الوقت الذي تحصل بوخوس الثاني على الجزء الغربي لموريطانيا.

ظلت بلاد المغرب على هذه الحالة إلى غاية وفاة الملك الموريطاني بوخوس سنة 33ق.م، دون أن يترك وريث على العرش ، الامر الذي إستغله الرومان وأصبحوا يتحكمون بصفة مباشرة في المملكة إلى غاية 25ق.م وهو تاريخ تعيين يوبا الثاني إبن يوبا الأول ملكا عليها و الذي حكم إلى غاية 23م، ثم خلفه على العرش إبنه بطليموس الذي تم إستدعائه إلى روما ينة 40 ق/م و قتله فيما بعد ، و في فترة حكم الإمبراطور كلوديوس بين سنتي43-44م قسمت إلى قسمين موريطانيا الطنجية وموريطانيا القيصرية[2]. وجاءت بعد هذه الفترة ما سمي بسياسة الرومنة التي تتمثل في إعادة ترتيب شؤون منطقة بلاد المغرب وفقا للإدارة الرومانية.

سياسة الرومنة: فبعد سيطرة الرومان على بلاد المغرب حاولوا خلق مواطن مغربي بطابع روماني وذلك من خلال إنتهاجهم لسياسة إدارية، إقتصادية، ثقافية وعمرانية شبيهة بتلك المتواجدة في المدن الرومانية ويظهر ذلك فيما يلي:

إداريا: خلقت روما ثلاثة أنواع من النظم الإدارية يشرف على الأول القناصلة وقادة الجيش الروماني، حيث كان دورهم تسيير شؤون المدن التي سميت بالمدن ذات الطابع الروماني وهو شبيه بالنظام

1- فرحاتي فتيحة، المرجع السابق، ص183.

المتواجد بروما. ويأتي بعده نظام المجالس والذي يشرف عليه الرومان بمساعدة أعيان القبائل وسمي بنظام المدن المختلطة وهو أيضا شبيه بالنظام الأول. وبعده النظام الثالث الذي تسير به المدن المحلية من طرف أبنائها مقابل دفع الضرائب.

ثقافيا: حاولت روما نشر اللغة اللاتينية بكل الطرق من أجل خلق مواطن متشبع بها، حيث فرضتها على التعاملات الإدارية والمدارس و مختلف النشاطات العلمية التي كانت تقام بالمنطقة.

عمرانيا: إن طبيعة الرومان العسكرية ساهمت بشكل كبير في التطور العمراني من خلال إعادة بناء المدن، الحصون العسكرية والحاميات وفقا للطابع الروماني الذي يظهر في طول ساحل البحر المتوسط ومختلف المناطق التي توغلت إليها الجيوش خاصة الطرقات التي استعملت في استغلال خيرات المنطقة والتحكم في سكانها، وسهولة الاتصال بين مختلف حامياتها.

إقتصاديا: كان الهدف الرئيسي لروما هو نهب أكبر قدر ممكن من الثروات بعدما أدرك الرومان أن المنطقة خزانا لهم، ما دفعهم إلى إنشاء شبكة من الطرقات التجارية أهمها الطريق الرابط بين تبسة وعنابة وقرطاجة، كما أنجزت عدد هائل من السدود و القنوات من أجل جلب المياه إلى القلاع والمدن وري الأراضي التي إعتنى بها الرومان لتحقيق أكبر إنتاج ممكن من القمح، الخضر والفواكه.

لقد كانت هذه السياسة سبب رئيسيا في قيام العديد من الثورات ضد الوجود الروماني، وإزدادت الأمور سوءا بعد الضرائب الكثيرة و المتنوعة التي أنهكت السكان بسبب الحروب المستمرة للرومان الأمر الذي نتج عنه فيما بعد صراع داخلي بين القادة الذين أرادو الخروج عن طاعة روما و إستغلال نفوذهم بالمنطقة مثل القائد "بونيفاس" 227 ق.م،الذي أعلن الحرب على روما محاولا الإستقلال بأحد المقاطعات الإفريقية، وهو ما رفضته روما التي قررت بعث حملة عسكرية، لكن هذا الأخير إستنجد بالوندال الموجودين بإسبانيا والذين قرروا الزحف على شمال إفريقيا ابتدءا من سنة 229ق.م وتنتهي بذلك الحقبة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

1- المصادر والمراجع بالعربية:

1. أحمد عبد الحليم دراز، مصر وليبيا بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م. الهيئة المصرية للنشر، 2000.
2. بوروينة الشادلي، قرطاجة البونية، تاريخ وحضارة، الإسكندرية، 1999.
3. جوليان شارل أندري، تاريخ شمال إفريقيا، تع: محمد مزالي، ب سلامة، الدار التونسية، تونس .1969
4. الجيلالي عبد الرحمن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، الجزائر، ط4. 1980.
5. حارش محمد الهادي.، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى غاية الفتح الإسلامي، الجزائر، 1995.
6. حارش محمد الهادي، التطور السياسي والإقتصادي في نوميديا منذ إعتلاء ماسينيسا العرش إلى غاية وفاة يوبا الأول:203-46ق.م، الجزائر، 1984.
7. حارش محمد الهادي، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، الجزائر،2014 .
8. حسن سليم، موسوعة تاريخ مصر، ج1، مصر، 1972.
9. حسنين جودة، الجغرافيا الطبيعية لصحاري العالم العربي، ط9، منشأة المعارف الإسكندرية، 1885.
10. حسين سليم، مصر القديمة، ج7، القاهرة، 1950.
11. حليمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر، الجزائر، 1978.
12. حميدة عبد الرحمان، جغرافية الوطن العربي، ط5 ، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1997.
13. دوكري فرانسوا.، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة.م.شلب، الشام، دمشق، 1994.
14. دوكري فرانسوا.، قرطاجة أو امبراطورية البحر، ترجمة أحمد عز الدين، ط1 دمشق، 1996.
15. رزق الله، إ،أ. التاريخ الروماني، لبنان، 1996.
16. رمضان، ت. ، معاهدة زاما 201ق-م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد7، الجزائر، 1993.
17. السعدني، م، إ.، حضارة الرومان منذ نشأة روما حتى نهاية ق1 ميلادي، ط1، القاهرة، 1998.
18. سيف الدين كاتب، اطلس التاريخ القديم، ط4، دارالشرق العربي للطباعة، بيروت، 2008.
19. شوقي خيرالدين، قرطاجة العروية الأولى في المغرب، لبنان، 1992.
20. الصفدي، هـ.، تاريخ الرومان، ج1، بيروت،1967.
21. طرادإبراهيمنجيب.،تاريخالرومان،الجيزة،1997..

22.طريح عبد العزيز شرف، الجغرافيا المناخية والنباتية، دار المعرفة الجامعية،

23.العسلي بسام، هانيبال القرطاجي، بيروت، 1980.

24. غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج.3، الجزائر.2011.

25.-فتيحةف رحاتي: نوميديا من حكم الملك قايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م، منشورات أبيك، الجزائر، 2007.

26.فنطر. م، يوغرطة من ملوك شمال إفريقيا وأبطالها، تونس، 1970.

27.كايوس سالوست كريسبوس، حرب يوغرطة، ترجمة محمد الهادي حارش، الجزائر، 1991.

28.لعروق محمد الهادي، أطلس الجزائر والعالم، دارالهدى، عين مليلة.

29.محمد البشير ش، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة146-40 ق.م)، ط2.،1985.

30.محمد الصغير غانم، التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، رسالة دكتوراه درجة الثالثة، معهد التاريخ الجزائر،1981-1982،.

31.محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي المتوسط، المؤسسة الجامعية، ط1، لبنان، 1979 .

32.محمد علي سعد الله، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2005.

33.محمد فنطر،اللوبيون وحدة أم شتات، مجلة إفريقية للدراسات اللوبية الفينيقية والأثار اللوبية، ع12، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2002.

34.محمد كمال عياد، تاريخ اليونان،ج1، دار الفكر للنشر، 1981.

35.مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، 1966.

36.مهران محمد بيومي، المغرب القديم، الإسكندرية، 1990.

37.موري تادرارت اكاكوس، الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، منشورات مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1988 .

38.نجيب ميخائيل إبراهيم، مصرو الشرق الأدنى القديم، ج3، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1966.

39.نصحي،إ. ، تاريخ الرومان من أقدم العصور حتي عام133ق.م، مصر، 2004

40.نور الدين كريمةسياسة أل برقة في الحوض الغربي للمتوسط، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2012.

41.يحي لطيف عبد الوهاب، تاريخ اليونان والرومان، بيروت، 2006.

2- المصادر المراجع بالأجنبية:

1. Albertini (E.), L'Afrique romaine.
2. Babelot, E., Carthage, Paris, 1896.
3. Basset.(R), les influences punique chez les Berbères, R.Af. N°308-309,3éme et 4éme Trimestre. 1921.
4. Berthier, A., La Numidie, Rome et le Maghreb, Paris, 1981.
5. Brisson, J-P., Carthage ou Rome, Paris, 1973.
6. Brizzi, G., Moi Hannibal, France, 2007.
7. Camps, G., «Origines du royaume massyle », RHCM, t.3, 1967.
8. Camps, G., Les Berbère Mémoire et Identité, Alger, 2011.
9. Combet Férnoux, B., ,Les guerres puniques, Paris,1960.
10. Conteneau. (G), Civilisations anciennes du proche orient, Paris, 1960.
11. Conteneau. (G), la civilisation Phénicienne, Payot, Paris, (1949).
12. Courtois. (Ch), Saint Augustin et le problème de la survivance du punique, R. Af. N° 424 – 425 (1950).
13. Cyril E. Robinson, A History of the Roman Republic 2013.
14. De la Malle, D., Afrique ancienne, Carthage, et Numidie.
15. Décret, F., Fantar, Mh, L'Afrique du Nord dans l'antiquité, Paris, 1982.
16. Diehl (Ch.), L'Afrique Byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique (533- 709), Paris, 1896.
17. Dion Cassius, Histoire romaine, CCXV, trad., E, Gros, Paris,1848.
18. Duruy, V., Histoire romaine jusqu'à l'invasion des barbares, paris.1855.
19. Ernest, M., Histoire de l'Afrique septentrional(Bérbérie)depuis les temps les plus réculés jusqu'à la conquête française, Paris.1830.
20. Fantar. (M. H), Téboursouk : stèles a épigraphique à inscription neo-punique, Paris, (1976).
21. Ferrero, G. Grandeure et décadence de rome,t1,trad., Urbain, M., Paris, 1918.
22. Florus., Abrégé du l'Histoire romaine, trad., Julle, pierrot, Paris, 1865.

23. Gabriel, C, Aux origines de la Bérbérie, Massinissa ou le début d L'histoire, Algérie, 1961.
24. Gaid, M., Les berbères dans l'histoire, de la préhistoire a la kahina, T1, Alger. 1990.
25. Gsell (St.), l'Algérie dans l'Antiquité, Typographie Adolphe Jourdan, Alger 1903.
26. Gsell. (S), H.A.A.N, t,4,Ed hachet,Paris,1920
27. Hennebert, E., Histoire d'Hannibal, T2, Paris,1891.
28. Hérodote, Histoires, Tard et établi par P.H.E, éd les belles
29. Isambert(M), ANEKDOTA. Histoire secrète de Justinie, Geographie du VI siècle, Paris, 1856.
30. Jean, P., Annibal, France, 1962.
31. Julien,C-A.,Marsy,M., Les Africain, t3,Paris,1990.
32. Justin (Junians Marcus), Abrégé des histoires philippiques de trogue pompée, textes établi et traduit par Marie Arnaud –lindet, a digital Library of latin littérature.
33. Justin, Histoire Universelle, trad. Par : Perrot. (J), et Boitard. (E), Panckoucke, (1873), (2 vol).
34. Lancel, S.,Carthage, France, 1992.
35. Le Bohec, Y. ,Histoire Militaire Des Guerres Puniques,246-146 av,j-c, France,1996.
36. Le peyre, G-G, Pellegrin,A. ,Carthage punique,814-146avant J-C, Paris..1942.
37. Leclercq (Dom. H.), L'Afrique Chrétienne. t. II, Paris, 1904
38. Lecoq (A.), Le commence de l'Afrique romaine, 12,1932.
39. lettres, paris, 1948.
40. Mauritanie, T2.Paris. 1844.
41. Meuleau,M., Le monde et son histoire: le monde antique, t2,Paris,1965.
42. Mommsen,T., Histoire Romaine, trad. C.A. Alexandre, paris,1865.

43. Ouisa ait amara, Recherche sur les numides et les maures face a la guerre, depuis les guerres punique jusqu'a l'époque de Juba Ier, Thèse de doctoras, France,S-D.
44. Pais, E.,Leçon sur les guerres puniques, Revue africaine,1925
45. Picard (G.), La civilisation de l'Afrique Romaine, Paris, 1959.
46. Pline l'Ancien, Histoire naturelle, trad. L.Emile, Paris,1850.
47. Plutarque., Vies des hommes illustres, trad, Alexis pierron, T1,Paris, 1853.
48. Polybe, Histoire, trad., D. Roussel, Paris, 1970 .
49. Procope de Césarée, Bellum Vandalorum, traduit par D. Roques ,Belles Lettres, Paris,1990.
50. Recherches sur l'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique (VIe siècle avant J-C. – IVe siècle après J.-C.), Rome, éd. Collection de l'École française de Rome, 1978.
51. Richard (J.C.), La victoire de Marius, M.A.H., vol.77, N°.01,1965.
52. Rmandon (R.), La crise de l'Empire Romaine, P.U.F; Paris, 1964.
53. Saumagne, CH., La numidie et rome, massinissa et jugurtha, Paris,1966.
54. Segur, L-P., Histoire romaine depuis la fondation de Rome jusqu'à la fin de règne de constantine, Paris,1848.
55. Servier, J. , Les Berbères, Que sais-je, Alger. 1990.
56. Silius Italicus, Les guerres puniques, trad. D.Nisard, Paris, S, D.
57. Stein (E.), Histoire du Bas- empire, t. II, Amsterdam, 1949.
58. Strabon, Géographie, trad. A. Tardieu, Paris, 1867.
59. Talbot, E., Histoire romaine, Paris. 1875.
60. Timée de Taormine, fragment d'histoire grecque n °23 d'après pierre cintas, manuel d'archéologie punique, éd picard, paris (1970)
61. Tite-Live, Histoire Romaine, trad., E. Lassérre, Paris, 1949.
62. Visite de Carthage, éd. Maison tunisienne de l'édition, Tunis, 1973.
63. Yanoski,J., Esquisse Générale de l'Afrique et Afrique Ancienne: Carthage, Numidie, Mauritanie, T2,Paris, 1844.

رقم	عنوان المحاضرة	رقم الصفحة
01	تمهيد	02
02	المحاضرة الاولى: مصادر دراسة تاريخ وحضارة بلاد المغرب القديم	05-03
03	المحاضرة الثانية: الجغرافية الطبيعية لبلاد المغرب القديم	11-06
04	المحاضرة الثالثة: السكان في بلاد المغرب القديم	16 -12
05	المحاضرة الرابعة: التوسع الفينيقي في غرب المتوسط	19-17
06	المحاضرة الخامسة: قرطاجة	23-20
07	المحاضرة السادسة: المماليك الوطنية	29-24
08	المحاضرة السابعة: العلاقات القرطاجية النوميدية	32-30
09	المحاضرة الثامنة: الحروب المتوسطية	43-33
10	المحاضرة التاسعة: التوسع القرطاجي في ايبيريا	46-44
11	المحاضرة العاشرة: حنبعل والحرب البونية الثانية	56-47
12	المحاضرة 11: الحرب البونية الثانية في إسبانيا (217-206ق.م)	65-57
13	المحاضرة 12: بلاد المغرب القديم بعد سقوط قرطاجة	70-66
14	المحاضرة 13: حرب يوغرطة ضد الرومان ما بين 111-105 ق.م	73-71
15	المحاضرة 14: أوضاع بلاد المغرب بعد حرب يوغرطة	76-74
16	ببليوغرافيا المطبوعة	81-77
17	فهرس المحتوى	82